
محمد الفخراني
قصص
تلعب
مع العالم
ميريت

قصص تلعب مع العالم

قصص تلعب مع العالم

محمد الفخرانى

الطبعة الأولى ٢٠١١.

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: ٢٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)

www.darmerit.net

merit56@hotmail.com

الغلاف: **أحمد اللباد**

المدير العام: **محمد هاشم**

رقم الإيداع: **٢٠١١/٢١٣٣٦**

الترقيم الدولى: **978-977-351-610-8**

محمد الفخرانى

قصص تلعب مع العالم

دار ميريت
القاهرة ٢٠١١

لا شىء أجمل من أن تلعب مع العالم

اللعب

اللعب، هو السبب فى أنهم لم يتدبروا إيجار البيت حتى الآن، غير أن هذا لا يقلقهم، فلم يحدث ولو مرة أن سددوه فى وقت لائق، كما لا يقلقهم كيف يحصلون على مال، فحينما يضطرون لذلك، يخرجون للعمل عدة ساعات، لكنهم لن يفعلوا الليلة، فكلّ منهم يجهزّ نفسه الآن لليلة طويلة من اللعب.

"نور" فى حجرته المشتركة مع "ظلام"، وكلّ منهما يعدّل تسريحة شعره أكثر من مرة، ويجرّب قطعة ملابس ثم يخلعها ليجرّب أخرى، ولا يقلقهما أنهما يستعملان نفس الأشياء، وكثيرًا ما يرغبان فى فعل نفس الشىء فى وقت واحد، ولا أنهما فى كل مرة يحبان نفس الشابة أو المرأة ويعترفان بحبهما لها فى يوم واحد، يعجبهما هذا لأنه يمنحهما مساحة خاصة من اللعب، فقط يحيّرهما أن أية حبيبة حتى الآن لم تصرح بمن أحبته منهما.

بمواجهة "ظلام" و"نور"، يسكن "حب" فى حجرة رغم أنها الأصغر، إلا أنه أصر أن تكون له وحده، فهو يكره أن يشاركه أحد أىّ شىء، فى الوقت الذى كان "موت" ساكن الحجرة الملاصقة له، يسرق منه شيئًا واحدًا كل يوم، ثم يعيده لمكانه فى اليوم التالى، فلا يمر يوم إلا وشىء ضائع من "حب"، وحيرة صغيرة تربكه، لم يكن "موت" يستعمل الأشياء التى يسرقها، فقط يريد أن يلاعب "حب" بتلك الحيرة.

كان "كذب" فى صالة البيت يتحرك بخفة وهو يجهز منضدة اللعب، ويرتب الأشياء بطريقته الخاصة، ويعيد توزيع قطع الأثاث القليلة، حتى يمنح شكلاً جديدًا للمكان مثلما يفعل كل ليلة، وبين لحظة وأخرى ينادى أصدقاءه "الوجهاء المساكين" كما يطلق عليهم، ويسخر منهم لأنهم فى النهاية سيخسرون لصالحه، يضحك "كذب" ثم يلتفت لصورة حبيبته "متعة" على الجدار، ويقفز إليها من فوق منضدة اللعب، ليضبط وضعها، رغم أنها بالفعل فى وضع مضبوط.

"كذب" الوحيد الذى وضع صورة لحبيبته بالبيت، رغم أن كل واحد من أصدقائه لديه بالفعل حبيبة أو كان، ربما لأنه الوحيد الذى ظل على حبه لحبيبته طوال الوقت، لم يحب غيرها، ولم تنته علاقته بها.

يخرج "حب" من حجرته، وتظهر عليه حيرة صغيرة، لأنه لم يجد تميمة حظه التى يلفها حول معصمه، ولا يتوقع أن يكسب فى اللعب بدونها، فى الوقت الذى كان "موت" عند باب

حجرته يرقبه بنظرة جانبية، أحس بها "حب" وتجاهلها، فهو لم يكن متأكدًا أن "موت" هو من يخبئ أشياءه، إلا أنه فى نفس الوقت متأكد أن لا أحد غيره يفعلها.

كان "ظلام" قد جلس إلى منضدة اللعب المستديرة، يلعب بالأوراق مع نفسه، ويسحب بعضها ليكوّن أرقامًا لا يمكن أن تخسر، ويتمنى أن يحصل عليها وقتما يبدأ اللعب، بينما وقف "نور" بجوار "كذب" ينظر معه لصورة "متعة" فى تسريحة شعرها البسيطة، وعينيها الملونتين بما لا يفهمه ولا يعرف اسمه غير "كذب"، ويجعله لا يبدأ اللعب قبل أن يتأملهما لنصف دقيقة، يجلس بعدها إلى منضدة اللعب، بحيث يكون بمواجهتهما، مثلما يفعل الآن بعد أن أمسك بيد "نور" وأجلسه عن يساره، ثم كان "ظلام"، و"حب"، و"موت".

يلعبون للتسلية، لا ليحصلوا على مال بعضهم بعضًا، لا توجد رهانات على منضدة اللعب، يفكرون أن لو كان هناك رهان، فسيفعل هذا بهم أى شىء إلا أن يجعلهم أصدقاء، كما فى نهاية اللعب لن يكون الأمر مسليًا للكثيرينِ منهم، فى كل ألعابهم هناك فائز واحد، يحدد لكل خاسر شيئًا عجيبًا يفعله، وعلى الخاسر أن يفعل هذا الشىء مهما كان، وفى أحيان كثيرة يتمنى كل منهم الخسارة حتى تُطلب منه الأفعال العجيبة.

"كذب" يجمع أوراق اللعب من سطح المنضدة، ويكون حريصًا أن تقع عيناه على ورقة البنت قبل أن ينتهى من ذلك، لو حدثت تلك التفصيلة الصغيرة سيكسب طوال الليل، أو يخسر

إذا أحب، ولا يكون مضطرًا لأن ينظر لصورة "متعة" بين لحظة وأخرى، لتخبره عيناها بأوراق أصدقائه، وتقترح عليه ما يفعل، لكنه فى كل الأحوال سينظر لعينيها بين لحظة وأخرى، إن لم يكن لتلعب معه، فلأن حبه لها يجعله يفعل.

استعدوا للعجائب.:

قالها "كذب"، وأطلق ضحكته الشهيرة، وقبل أن يرد عليه أحد أصدقائه، رد صاحب البيت

استعدوا للمبيت فى الشارع.:

كان صاحب البيت قد فتح الباب بنسخة من المفتاح يُصرّ أن تبقى معه، ودخل دون أن يشعروا به، مثلما يفعل مرتين أو ثلاثًا كل يوم، ليرتب أو ينظف، أو ليفعل لا شىء، فقط لا بد أن يدخل مرتين على الأقل كل يوم، لكنهم يضطرونه أن يدخل مرات إضافية من أجل الإيجار المتأخر دومًا، وفى كل المرات الإضافية، يصمتون جميعًا، ويتركون "كذب" يتفاهم معه.

كان صاحب البيت يوجّه كلامه وغضبه فى كل مرة "لكذب"، ليس لأنه ضيف دائم وسيضطر أن يتحمله، ولكن ليفتح معه أىّ حوار، وكان الجميع يعرفون أن صاحب البيت يحب "كذب" بشكل خاص ويستمتع بالكلام معه، الأكثر من ذلك أنه الوحيد الذى يثق به منهم، لأنه يقول الحقيقة لو سأله عن أى شىء، فعندما ينكر أصدقاءه مؤجرو البيت أن معهم أى مال يدفعونه، ويسحبون جيوبهم ويقلبونها فارغة ليؤكدوا لصاحب البيت أنهم مفلسون، ليس عليه إلا أن يسأل "كذب" ليخبره فورًا

عن الأماكن التى يخبئون فيها نقودهم الفقيرة، والتى لا تكفى فى كل الأحوال لسداد الإيجار.

لا يتعامل "كذب" مع صاحب البيت بهذه الطريقة لأنه ضيف على أصدقائه، لكن لأن تلك هى الطريقة الوحيدة التى تضمن استمرار الجميع، وتجعل من أحدهم موضع ثقة، كما يبدو الأمر وكأن تلك طبيعة "كذب"، فلن يستطيع أن يتصرف بهذه التلقائية فى كل مرة إلا لو كانت تلك طبيعته.

أكثر من ساعة قضاها صاحب البيت واقفًا يتحدث مع "كذب"، الذى لم يتحرك من مقعده، فى حين نهض "ظلام" و"نور" للمطبخ، وفى الشرفة كان "موت" يبتسم للقمر، و"حب" يقف قريبًا منه يرقبه بحيرة، ويفكر كيف لم يستطع ولو لمرة أن يمسك به وهو يسرق أحد أشياءه، أو وهو يعيد نفس الشىء فى اليوم التالى؟! رغم ذلك كانت الفكرة تجعل "حب" يبتسم.

:استعدوا للعجائب.

قالها "كذب" بحماس أكبر هذه المرة، فجاءه أصدقاؤه ولم يسأله أحدهم كيف تصرف مع صاحب البيت، إلا أن كل واحد منهم فاجأه شىء جعله يشعر بأنه لم يعد فى حالٍ تناسب ألعابهم العجيبة، فقد تغيّر مزاج "نور" بلا سبب، وتذكّر "حب" حبيبته التى خسرها منذ أيام قليلة، فأحس برغبة فى الجرى بلا هدف، وازداد إحساس "ظلام" بالقلق على أعز صديقاته "رحمة"، التى تواصل الرسم على الجدران فى الشوارع منذ شهر متواصل دون نوم أو طعام، وفكر أن يخرج ليطمئن عليها، بينما كان

"موت" يتلفت حوله بلا تركيز، وهى الحالة التى يكون عليها عندما يريد عدة أشياء فى وقت واحد ولا يتذكر منها شيئًا، ولن يهدأ إلا لو خرج للشارع، وعندما نظر "كذب" فى وجوههم عرف أنهم لن يتحملوا أن يبقوا لحظة أخرى فى البيت، فابتسم بطريقة ذكرتهم بأنهم "الوجهاء المساكين، واقترح الملعب؟:

اتجهوا للباب، وتأخر "كذب" عنهم قليلاً، بعد أن بعثر أوراق اللعب على المنضدة، ووقف للحظات يخمن أية ورقة من الأوراق المقلوبة ستكون البنت، كان عليه أن يكتشف ذلك مع أول ورقة يسحبها، وعندما فعل ذلك، رفعها "لمتعة"، وهو ينظر لها بجدية، ليذكرها بأنه لم يخطئ أبدًا فى الورقة الصحيحة، كما لم يتوقف أبدًا عن حبها، هل كان يعرف أنه سيخطئ عندما يتوقف عن الحب؟

فى الشارع وعلى بعد أمتار قليلة من البيت صادفوا "حزن" و"حنان"، وصحبوهما معهم، ثم ظهرت "رحمة" منهمكة فى الرسم على جدار بلا بداية، وكما هو متوقع ظهر "خوف" على بعد خطوتين منها، يحمل علب ألوانها، وينظر لها بنفس الوله الذى تنظر به لرسومها، وكان على "ظلام" بعد أن ناداها أكثر من ثلاث مرات ولم تسمعه أن يذهب إليها، ويحول وجهها إليه رغمًا عنها، ليرى فى عينيها نظرة فنانة مفتونة، فيضرب خدها بأصابعه مرتين: "تقتلين نفسك"، ويمنعها من العودة للرسم، ويحاول أن يتجه بها حيث "كذب" والأصدقاء، لكنها تقاومه،

فيتدخل "خوف" ويجذب فرشاتها من يدها، وقبل أن تثور عليه يقول ضائعًا فيها: "ارتاحى قليلاً"، ويداعبها وهو يعبث بفرشاتها فى وجهه ليصنع رتوشا عشوائية، فتبتسم بشجن، وعندما يربت خدها وتشعر بحبه العجيب على وجهها، تتنهد وتتراجع خطوة لتلقى نظرة على رسمها، فيضع الفرشاة مع علب الألوان فى حقيبة صغيرة يغلقها عليهم، وينتظر حتى تنهى نظرتها، ثم يمسك أحد ذراعيها، ويمسك "ظلام" ذراعها الأخرى وينضمان بها للأصدقاء، حيث يطلب "كذب" أن يمروا فى الطريق على أعزّ أصدقائه "صدق"، فيجدونه وابنته الصغرى مشغولين على شاطئهما الصغير بصنع القوارب والبيوت الخشبية، ويراقبه "كذب" للحظات قبل أن يناديه.

أول شىء يفعله "صدق" بعد أن ينضم وابنته للأصدقاء أن ينفرد "بكذب"، ويقول له شيئا سريًا، فيبتسم "كذب" تلك الابتسامة التى تخصّ "متعة"، ولا تظهر إلا عندما يراها أو يسمع اسمها، بينما يستعمل ابتسامة أخرى لبقية العالم.

"الملعب"، الكرات فى كل مكان، و"قسوة" و"سعادة" تقفان على حافة بركة ماء صغيرة تريدان الوصول لكرة تطفو بمنتصفها، وفى نفس الوقت لا تريد أىّ منهما أن تبلل نفسها، ضحك "كذب" منهما وبللهما بتعليقات مضحكة، وقبل أن تجف عنهما التعليقات، كان "نور" قد دخل بركة الماء وعاد بالكرة يجففها بملابسهما، فتضحكان ولا تقاومانه.

ارتبكت شوارع وكائنات كثيرة داخل الكرة عندما ركلها "نور" تجاه "حزن"، الذى لعبها بكتفه مباشرة، فاشتعلت داخلها شمعة تمسكها شابة وحيدة، وانطلقت غزالات من بين أشجار غابة كثيفة، وعندما ضربها "موت" برأسه، انسكب أحد أنهارها فى بيت صغير، وأوشك على الغرق فيه، لكنه تمسك بإطار نافذة كبيرة، واستجمع كل قوته وقفز للشارع، وعندما وصلت الكرة "لصدق" تبادلها عدة مرات مع "كذب" قبل أن يدحرجها لابنته، فتؤدى معها عرضًا صغيرًا للمهارات، يتسبب فى مفاجآت كثيرة داخلها، وقبل أن تقرر لمن ترسلها، التقطتها "قسوة" من فوق رأسها وركلتها تجاه "سعادة"، التى تستقبلها بهدوء على صدرها وتريحها قليلاً، ثم تركلها بحركة بهلوانية تجاه "حنان"، إلا أن "خوف" يلتقطها فى منتصف المسافة، ويدفعها برفق تجاه "رحمة"، التى تركلها عاليًا بكل قوتها، ثم تجرى لأقرب جدار تكمل رسمها، فيتبعها "خوف" بالفرشاة والألوان.

ترتفع الكرة وتغيب عن عيونهم لحظات، تتغير فيها عوالمها عدة مرات قبل أن تعود إليهم، فيلعبون معها حتى يشعروا بالتعب، ويجلسوا حولها يراقبون مزيجها العجيب، وعندما يرى "حزن" المرأة التى يحمل لها مشاعر قوية، وهى تمشى فى ركن بعيد داخل الكرة، وتتجه للنهر لتستحم، يقفز هناك، ويتبعها كعادته دون أن تشعر به، فى حين يدخل "حب" ويقف عاريًا تحت مطر غزير، ويُلقى "موت" بنفسه فى شلال

يعجبه، وتسرع ابنة "صدق" وتنضم لمجموعة من الصيادين يدفعون قاربًا جديدًا لأحد البحار هناك، فيلحق بها "صدق" ليحمسهم بصيحاته، ويضحك "كذب" وهو يدفع "قسوة" و"سعادة" داخل الكرة ويقفز خلفهما، وعندما تنظر "رحمة" من مكانها عند الجدار، وتلمح داخل الكرة لونًا كانت تبحث عنه، تقفز إليه، وخلفها يقفز "خوف" حريصًا على ألا يُسقط شيئًا من ألوانها.

كانوا جميعًا داخل الكرة عندما تأرجحت فى مكانها، بعد أن سقطت لعبة صغيرة من يد طفل يجرى فى أحد شوارعها، وعندما سقطت لعبة أخرى، تحركت وبدأ كل ما فيها يميل لبعضه البعض، وبلعبة ثالثة تحركت الكرة بشكل أسرع، وبدأت كل الألوان والمياه والكائنات تتماس وتسكب من بعضها لبعض، كأنما يتذوق كل منها الآخر ويتبرع له بجزء من حياته، ثم تسقط لعبة بعد أخرى من أيدى الأطفال كما لو أنهم يتعمدون، فتجرى الكرة، تجرى، وتمتزج العوالم، الكائنات، الأفكار، والمشاعر ببعضها بعضًا، ولا يتوقف اللعب.



الساحر

يفكر:

"إذا كان السحرة يجلبون كل هذا الذهب بفرقعة إصـــبعين في الهواء، طك، هكذا، فلماذا يقدمون عروضهم للناس ليحصلوا على خبزهم يومًا بيوم، هكذا؟!"

مدينة السحرة، تطفو على الأرض مثل لوحة مائية لفنان مجهول، ليس فيها أحد يمتلك اسمًا، ولا اسم يمتلك أحدًا، شوارعها أفكار فى خيال السحرة، وبيوتها تظهر فقط عندما يدخلها أحدهم، وتختفى بمجرد خروجه، تفعل ذلك لا لشىء إلا اللعب.

كان طفلاً عندما جلس تحت الشمس، يرسم بأصابعه لوحة مائية فى شارع من خياله، ورأى ظل شجرة يغطيه، رفع عينيه لصاحبة الظل، فقابله وجه امرأة شعرها يخبئ السماء، وبالكاد يُسرّب له بعض النهار، ابتسمت واقتربت بوجهها، فرأى نفسه

يدخل شارع إحدى عينيها ويجرى فيه حتى نهايته، ثم يقفز من شارع العين الأخرى ويجلس ثانية فى مكانه، ليجدها بنفس النظرة والابتسامة وهى تمد له يدها بثلاث سنوات سقطن منه فى شوارعها، ثم تهز رأسها فتطير من شعرها عصافير حلوة، وتتساقط فاكهة صغيرة فى لوحته المائية، التى عندما نظر إليها ثانية، اختفى ظل الشجرة.

السحرة يغادرون مدينتهم كل ليلة، يخرجون بأطفالهم للعالم يمارسون معه ألعابهم، ليحصلوا ليس على أكثر من خبز يومهم، رغم أنهم طوال اليوم، وفقط بفرقعة إصبعين فى الهواء، طك، هكذا، يجلبون الذهب لجمهورهم، يبعثرون النقود على رءوسهم، يُدخلونهم مستحيل العالم ومتعته، ولأجل جمهورهم يطعنون أنفسهم، ويحيون من جديد.

كان يرى السحرة الكبار يطلقون السعادة على قلوب جمهور لن يمنحهم فى النهاية أكثر من خبزهم اليومى، الذى بالتأكيد لديهم القدرة ليحصلوا عليه بأقل من فرقعة إصبعين فى الهواء، يفكر أن هناك شيئًا غير الخبز، يقدم السحرة لأجله حياتهم كل يوم.

يقدّم أولى ألعابه السحرية فى الشارع بلا مسرح، ويبدأ بحركة ارتجالية يدور فيها مرتين حول نفسه، فيصّاعد من تحت قدميه دخان رمادى يعبئ الهواء بحلم غامض، وعندما يلاحظ أن جمهوره ينتظر لعبته، يتذكر أنه لم يجهز أىّ شىء، فيطلب أن يحكى كلٌّ منهم حكاية، وتكون لعبته أن يرسم كل حكاية فى

الدخان الرمادى، فيظهر أشخاصها الحقيقيين وهم يتحركون ويتكلمون فى حياة بين الحلم والواقع، وكلما انتهت حكاية مسحها بيده من الدخان ليرسم أخرى، هل كان يسبق أحداث الحكايات برسمه أحيانا؟

عندما صفقوا له بعد فترة ذهول قصيرة، رفض الحصول على الخبز اليومى، وتذكر ألا ينسى أن الحكاية كانت سحرًا، والسحر كان حكاية، أسموه "ساحر الحكايات".

العالم كان ينتظر حتى يعود السحرة لمدينتهم وتظهر كاملة، فيتسلل إليها ويدور حولها، ليلعب عليها لعبة "التلصص"، فتلعب عليه لعبة "الساهى"، وتتركه يستمتع باكتشاف بعض أسرارها، وعندما تلعب عليه لعبة "التلصص" فى الأوقات التى يبدو لها مشغولاً، يلعب عليها لعبة "الساهى"، ويتركها لتراه فى بعض حالاته السرية، ولأن كلاً منهما يعرف أن الآخر يتلصص عليه، كانا فى أوقات خاصة يستبدلان لعبة "التلصص" بلعبة "اكشف لى واكشف لك"، فيذهبان معًا لمكان سرى، ويتبادلان الكشف عن أسرار لم يكن أيًا منهما ليعرفها عن الآخر مهما تلصص عليه.

أول مسرح قدّم فيه ألعابه، كان بيتًا قديمًا لساحر مجهول، فى هذا الوقت كان يظهر لجمهوره بملابس مرتبة، وشعر معتنى به، ويتعمد أن يضع فى صورته المهندمة تلك ثلاثة أخطاء، يُشعرونه براحة وحرية فى ممارسة ألعابه، لم يكن يتحدث لجمهوره، لا يقول لهم: "انظروا.. هذا سحر"، الحاوى

من يفعل ذلك فى رأيه، فقط كان ينظر فيهم للحظة كأنهم شخص واحد، ثم يبدأ لعبته، فتفلت منهم بين لحظة وأخرى شهقات بها خوف غامض، ويحبسون الهواء فى صدورهم ثم ينسونه هناك، يظهر البرق فى قلب كل رجل، ويرتعش الزغب فى جسد كل امرأة، حتى ينتهى من لعبته، وعندها لا يريد غير أن يسمع صمتهم، ويرى نظرتهم المسلوبة، فأن يصفقوا له فورًا يعنى أنهم كانوا منتبهين فى عالمهم، ليسوا مأخوذين فى لعبته، يعتبر أن الحواة من يحتاجون للتصفيق السريع الساذج ويستمتعون به، هو يستمتع فى كل مرة بالشلل المؤقت الذى يصيب به جمهوره بعد أن ينتهى من لعبته، وبالنظر فى عيونهم، التى تبدو كالصحراء فارغة تمامًا لأنها ممتلئة تمامًا، وعندما يبتسم بعينيه لطفلة غامضة، أو أنها حبيبة بها نفس الغموض، تقف فى ركن بين الواقع والخيال، تبدأ فى التصفيق ويبدءون بعدها بشكل تصاعدى، فيغادرهم ولا أحد فيهم يمتلك اسمًا، ولا اسم يمتلك أحدًا منهم.

فى كل مرة سينتظرون عودته للمسرح ليفعل شيئًا لم يعرفوه أبدًا، لأنه لا يعود أبدًا، ولا يرونه إلا فى اللعبة الجديدة، الآن سيشعرون ببرد خفيف ممتع، وبخوف غريب يجدّد عالمهم، ويتعجب كل واحد من نفسه ومن العالم، كأنه فوجئ بوجودهما ويتعرف إليهما لأول مرة، ثم ينصرفون بعد دقائق طويلة أحرارًا حتى من أسمائهم، غير منتبهين لظلال غريبة ترفرف فوق رءوسهم، ولا لطفلة غامضة أو أنها حبيبة بها

نفس الغموض، تقف فى ركن ما زال محتفظًا بشىء من ساحرهم.

مثلما كانت المدينة تلعب مع العالم، فتختفى بعد خروج السحرة منها، ولا تخبره لأين تذهب، لتتركه فى سؤال إن كانت موجودة بالفعل أم لا، كان العالم أيضًا يلاعبها، بأن يختفى ويتركها بمفرِدها، فتصير هى كل العالم، وكأنه يريد أن يفاجئها مرتين، الأولى بأنه قادر على الاختفاء وتركها فى سؤال إن كان موجودًا بالفعل أم لا، والثانية أن يمنحها ولو لبعض الوقت كل جنونه وجماله ولعبه، فهى المكان الصغير الذى يحصل على خبزه يومًا بيوم، رغم قدرته فى الحصول على كل شىء بفرقعة إصبعين فى الهواء، طك، هكذا.

عندما حصل على إجابة لسؤاله القديم، ورأى بعينيه الشىء الذى يقدم السحرة حياتهم كل يوم ليحصلوا عليه، وعرف أن خبزهم اليومى ليس إلا جزءًا من اللعبة، بدأ العالم يتواطأ معه فى كل ما يفعل، وكان يحتاج هذا التواطؤ عندما بدأ يقدم ألعابه داخل مسرح يجلبه فى أى وقت لأى مكان، بأن يفرقع بإصبعيه فى الهواء، فيأتيه ليل ونجمات وقمر، يجعل منهم مسرحه الليلى، وكان يمكن لأى من الجمهور أن يمد رأسه بالخارج ليعرف أن النهار ما زال موجودًا، وفى أوقات أخرى يفرقع بإصبعيه، فيأتيه نهار وألوان وشمس، يجعل منهم مسرحه النهارى، فى الوقت الذى سيكون الليل حاضرًا بالخارج، كان قد أضاف العديد من الأخطاء لصورته المهندمة، وبدأ يقدّم ألعابًا

مسحورة حد الرعب، جعلت السحرة يأتون متنكرين ليشاهدوه، فيعرفهم بنظرة واحدة، وبسرعة أيضًا يعرفهم جمهوره، برائحة الوهم التى تصاعد منهم ولا يشمّونها لاعتيادهم عليها، ونبتة السحر الصغيرة التى تنبت فى باطن يد كل ساحر دون أن يشعر بها أو يراها، بينما يراها الآخرون ويشعرون بها، كان يفكر أن ليس كافيًا أن يسحر الجمهور، ولا بد أن يسحر السحرة أيضًا، وقد سحرهم وألقى بهم فيما أسماه "التيه الكبير"، أسموه "ساحر السحرة".

العالم ومدينة السحرة يتماديان فى اللعب بمرور الوقت، وعلى فترات متقاربة يخترع أحدهما لعبة جديدة يفاجئ بها الآخر، كان أكثر ما يُمتعها أن يترك العالم جنونه وجماله وألعابه لديها، وفى مرات كثيرة عندما يأتيها ليستردهم، تطلب منه أن يُبقى معها الجنون ليلة أخرى، وكان أكثر ما يُمتع العالم أن يأتيه سحرة المدينة كل يوم ليمارسوا ألعابهم، وعندما يحين الوقت ليعودوا، يطلب من مدينتهم أن تترك البعض منهم ليبيتوا عنده، فيمتعونه طوال الليل بألعاب مبتكرة لم يرها أحد قبله، ومثل كل مرة عندما يقدم لهم هدايا لم يرها أحد قبلهم سيرفضونها، ويرفضونها ثانية بشكل نهائى، لأنهم حصلوا بالفعل على خبزهم اليومى.

صار يخرج لجمهوره فى قطع من قماش ربما تكون ملابس أو شيئًا آخر، شعره بلا لون أو طريقة، عيناه مزدحمتان بعوالم عجيبة، ويبدو مثل شخص خرج لتوّه من لعبة مع

المستحيل والسحر، أو انه واجههما فى قتال طويل، فأتعبهما وأتعباه، لم يعد ينظر إلى جمهوره فى أىّ وقت من اللعبة، ولا أحد منهم يعرف إلى أين ولمن ينظر، وإن كان ينظر أم يفعل شيئًا آخر، سيرفع ذراعيه فى الهواء للحظات، وقد شمّر عنهما، فتظهر أطراف أصابعه حمراء كالشفق، وكأنه انتهى حالاً من عجينة سحره ومستحيله، ثم يبدأ لعبته التى تمتصه، تبخره، وتنثره ذرات صغيرة منهَكة، ويثير هو مشاعرها، أفكارها، وأحلامها ليجعلها أكثر واقعية من الخيال، وأكثر خيالاً من الواقع، يُقطّره سحره ليكون لاعبًا نقيًا، ويُقطّر سحره ليكون لعبًا نقيًا، وفى كل مرة وبسبب ذهول يصيبهم، لن يكتشف جمهوره أنه قد انتهى من لعبته إلا بعد لحظات طويلة، وبعد أن يروا أطراف أصابعه ترتعش وقد تحولت إلى اللون الأزرق كما لو أن سحره استنفد منه دمه وعجينة جسده وروحه، لن يصفقوا، وتظل قلوبهم عالقة فى مجهول، وريح غريبة تعصف بأرواحهم، حتى تبدأ الطفلة الغامضة، أو أنها الحبيبة التى بها نفس الغموض، فيبدءون تصفيقهم بعدها، ودون أن ينظر إليها أو إليهم، يرونه يتلاشى ويصّاعد للسقف فى دوامات شفافة ملونة، وعندما ظهر الجن ضمن جمهوره، لم يكن الأمر مفاجئًا أو مزعجًا لأحد، أسموه "ساحر الإنس والجن".

أيهما وصل باللعبة إلى هذا الحد؟ هل مدينة السحرة عندما انتظرت حتى اختفى العالم وتركها بمفردها، وفى ضميره أن يكون هذا لبعض الوقت كما فعل فى مرات سابقة، فخدعته

المدينة واحتلت كل أماكنه التى غادرها، لتكون هى كل الأماكن، وعندما أراد العالم العودة لم يجد لنفسه مكانًا، وظل ضائعًا فى لا مكان؟ أم أنه العالم، عندما انتظر حتى غادر السحرة مدينتهم، واختفت كعادتها، فغيّر شكله، وبدل أماكنه، حتى ضاع السحرة عن بعضهم البعض وعن مدينتهم، واستمروا يجرّبون ألعابهم فى كل مكان، محاولين الوصول إليها، وبمرور الوقت اختلط الأمر عليهما، فلم تعرف المدينة إن كانت مكانا صغيرًا يخص السحرة، أم أنها عالم كبير به كل الأماكن، ولم يعرف العالم عن نفسه إن كان ضائعًا فى لا مكان، أم أنه مكان لا منته امتلأ فجأة بسحرة يمارسون ألعابهم دون توقف.

بمرور وقت قصير آخر، امتزجت كل الأماكن والأوقات والكائنات والألعاب، فتلاشت الفرص القليلة التى كان يمكن بها معرفة الإجابة عن سؤال: "أيهما سحر وأيهما عالم؟"، صار السحر عالمًا، والعالم سحرًا.

منذ مدة أطول من عمر بعض عجائز جمهوره من الإنس والجن، لم يره أحد يأكل أو ينام، صار يمارس ألعابه طول الوقت، وأطول من طوال الوقت، فاختلط الأمر عليه منذ مدة أبعد من أن يتذكرها، حتى إنه نسى أن الأمر ربما اختلط عليه، لم يعد "الساحر" يميز بين ألعابه والعالم، تلاشت بينهما أية مسافة، كما لو أنها لم تكن موجودة، أو أنها بالفعل لم تكن موجودة، وتلاشى سؤال: "أيهما لعبة وأيهما عالم؟"، صار اللعب عالمًا، والعالم لعبًا.

عيناها أجمل مكان للحزن

طلب منها "الحزن" أن يسكن عينيها لبعض الوقت، واقترح أن يكون سبعة أيام، ثم يغادرها، على أن يجدّد ألوان المكان، ويعيد ترتيب الأشياء داخلها بطريقة تمكّنها من التحرك بسهولة أكثر، ويفتح لها نافذة سريّة، تستطيع منها أن ترى الحياة تمشى بطريقة مختلفة تخفيها عن الآخرين، لكنها ظلت صامتة وظهر عليها التردد، فاقترح أن تكون المدة خمسة أيام فقط، وأخبرها أنه يريد الهرب من شىء لن يذكره الآن على الأقل، وعيناها أكثر مكان يمكن أن يطمئن إليه، ووعدها أنه سيحاول قدر استطاعته ألا يكون مزعجًا، فنظرت لعينيه وابتسامته كلّ على حدة، ورقّ قلبها له. ..

فتح "الحزن" حقيبة أغراضه الشخصية، ووزّع أشياءه البسيطة فى عينيها بلطف، وحاول قدر استطاعته ألا يكون مزعجًا، حتى إنها لم تنتبه إلى أنه انتهى إلا بعد أن أخبرها، ومع أول ليلة له فى عينيها، سمعت موسيقا شجيّة كان يُشغّلها

من آلة قديمة يحملها ضمن أغراضه، وفى الليالى التالية ستسمع تنويعات عديدة من الموسيقا الشجية، وترى "الحزن" فى ملابسه الشفافة المتنوعة، يتحرك خفيفًا كموجة، فتطمئن له، ويدفعها إحساس شفيف غامض بالتعرف إليه عن قرب، لكنها تؤجل ذلك لبعض الوقت، وإلى أن يحدث ذلك يحرص "الحزن" ألا تصدر عنه أية حركة مفاجئة، وألا يرفع صوته عندما ينفعل مع الموسيقا، حتى إنه يقضى الكثير من وقته نائمًا فى عينيها، ورغم رغبته الشديدة فى التحدث إليها، سيفضّل أن ينتظر حتى تبدأ هى خوف أن يزعجها، ولن يطول انتظاره، فستبدأ كلامها معه عندما تستمع لواحدة من موسيقاه الشجيّة وتعجبها بشكل خاص، وتسأله عن اسمها، فيقول: "عيناها أجمل مكان للحزن"، ستقول أن كل الموسيقا أعجبتها منذ البداية، وأنها كانت تخمّن مع نفسها اسمًا لكل قطعة موسيقية، فيسألها عن الاسم الذى خمّنته للقطعة التى تسمعها الآن، وتلاعبه بألا تذكره له، وتطلب منه أن يرفع الصوت قليلاً، فيرفعه، ويلاعبها بأن يرفض أن يذكر لها اسم الآلة القديمة التى يشغل منها الموسيقا عندما تسأله عنه، فتبتسم وتدعوه ليجلس معها فى شرفتها ذات الإضاءة الهادئة، ويبدآن بالكلام عن الموسيقا، ثم يتمشى الكلام لشوارع وأماكن أخرى، ويبدو من كلام "الحزن" أن له تجربة فى كل مكان، فيحكى لها حكايات كثيرة تُسلّم بعضها لبعض، وتبادله هى بتعليق بسيط أو حكاية قصيرة، وبعد ساعات عندما يشعر "الحزن" بأن النوم سيغلبه، يخبرها عن أجمل مكان رآه فى

حياته، وكان قد رفض على سبيل اللعب معها أن يخبرها عنه عندما تحدثا خلال سهرتهما عن أكثر الأماكن جمالاً، قال لها: "عيناك أجمل مكان"، وتعمّد ألا يقول أى كلام بعدها، حتى نام فى عينيها، بينما ظلت ساهرة مع ضوءٍ هادئ وموسيقا شجيّة.

يعرف "الحزن" أنه سيكون جميلاً فى عينيها، حتى إنه سيكون أجمل من السعادة فى عيون آخرين، وفضّل أن تفهم ذلك بنفسها عندما قال لها: "أنا والسعادة علي نفس القدر من الجمال، الفارق يحدث عندما يجد أحدنا مكانا مناسبًا له، ولا يجد الآخر هذا المكان"، يعرف أن عينيها أفضل مكان له فى العالم، ويتمنى أن يعيش معهما كل حياته، ليس فقط الأيام الخمسة التى طلبها فى البداية، وكما وعدها سيحاول قدر استطاعته ألا يكون مزعجًا، حتى لو اضطر أن يقضى نصف حياته نائمًا فى عينيها، ويسهر النصف الآخر معها فى شرفتها.

"الحزن نائم فى عينيك"، تسمعها ممن ينظرون فى عينيها، وترى فى عيونهم الكثير من الافتتان، ويقع الكثيرون فى حالات متنوعة من الغرام بها، تفكر أنهم ربما يقصدون أحيانًا أن "الحزن ساكن أو مستيقظ فى عينيها، لكنه جميل حد أنه يبدو نائمًا؟"، بينما يحرص "الحزن" فى معظم الأحيان أن يظل نائمًا فى عينيها كلما لمح نظراتهم بطرف عينه، وسمعهم يقولون هذا الكلام، أحيانًا أخرى يتمطى بجسده قليلاً كطريقة للتنويع على الفتنة، ثم فى جلستهما بشرفتها، علّمها أغنيات تهدهده بها عندما ينفعل بشدة فلا يكون مزعجًا، وعلّمته أغنيات يهدهدها بها

عندما يرجّها الألم بقوة فلا تنهار، أخبرته أن يربت صدرها فى انفعالاتها الشديدة، وسيكون هذا كافيًا لتهدأ، تقول له: "ربتة الصدر أقرب للقلب من ربتة الظهر".

عندما قدمها "الحزن" لأصدقائه "حب"، "نور"، "ظلام"، "صدق"، و"كذب"، رأت فى عيونهم حبهم لعينيها، صحبها معهم للملعب الكبير، وهناك يشاركهم اللعب لبعض الوقت، ويحرص أن يكون قريبًا منها، ليسمع صوت قلبها وجريان دمها فى جسمها، ثم يغادر اللعب ويقف عند حدود الملعب، ليتفرج على تفاصيلها، ويراقب انفعالاتها ولفتاتها التلقائية، بينما تبادله النظرات من وقت لآخر وتبتسم له، صحبها للأماكن التى يسهرون فيها، وهناك تعرفت على صديقته "سعادة"، التى كانت تراوغها طوال الوقت. وهى تمر على مسافة ليست بالقريبة منها ولا البعيدة عنها، لكنها فى كل أحوالها لم تكن معها، وكلما نادتها أو طلبت منها أن تنتظر، كانت تلملم حاجياتها بسرعة وتبتعد، الآن بعد أن تعرفت عليها، أدركت كم هى بسيطة، تلقائية، وأسهل من أن تناديها أو تطاردها، كما أعجبتها قصة الحب بين "كذب" و"متعة"، والتفاصيل الصغيرة التى يملأ بها "كذب" هذه القصة، وكعادة "نور" و"ظلام" بأن يقعا فى حب نفس الشابة أو المرأة، ويعترفان بحبهما لها فى يوم واحد، فقد حدث ذلك معها.

فى سهراتها ولعبها وتسكعها معهم عرفت الكثير من حكاياتهم الخاصة، أسماءهم السريّة، علاقاتهم الغرامية، لحظات

جنونهم، مشاعرهم تجاه بعضهم بعضًا، والأشياء التى يخفيها كل منهم فى شخصيته حتى يبدو أحيانًا على غير ما هو عليه بالفعل، وعندما تعمّقت صداقتها بالكثيرين منهم، صاروا يصحبونها لبيوتهم عندما يريدون أن يكملوا سهراتهم بألعاب جديدة يخترعونها ليلة بليلة، وهناك يدعون أطفالهم ليتفرجوا على فتنة عينيها، فيؤكدون دون قصد منهم ما قاله "الحزن" لها، من أن الفارق يحدث عندما يجد أحدهم المكان المناسب له، بينما لا يجد الآخر هذا المكان.

صار معروفًا عن عينيها أنهما أجمل مكان يمكن النظر فيه "للحزن"، وأجمل مكان ينظر "الحزن" منه، صارت الجملة الأحب لقلبها: "الحزن نائم فى عينيك".

عندما قال لها "الحزن" بترقب، أنهما قد تجاوزا منذ مدة طويلة الأيام الخمسة التى اتفقا أن يسكنها فى عينيها، ابتسمت وقالت: "أعرف ذلك"، ودون أن توضح له أى شىء طلبت أن يرفع صوت الموسيقا، فرفعه، وفكر أن هذا هو الوقت المناسب ليخبرها عن عاطفة قديمة يحملها لها، ويعرفها عنه أصدقاؤه، عاطفة غير التى يحملها لها "نور" و"ظلام"، لا يستطيع تسميتها أو تقييدها بكلمة أو وصف، وإنما أن يعيشها معها، عاطفته التى جعلته ينتظرها فى كل مرة تأتى فيها النهر وتخلع ملابسها وتنزله، أخبرها أنه كان يراقب كل شىء منها حتى حركة خصلات شعرها ووقع قدميها، قال إن لجسدها حزنا جميلاً وجمالاً حزينًا يفتنه، وأنه يحمل حبًا كبيرًا لهذا الجسد، لهذا

الجمال، ولهذا الحزن، ذكّرها بالمياه الرائقة التى كانت تحيط بها فى النهر فور نزولها إليه، وبالرائحة الجميلة التى كانت تجدها فى ملابسها بعد خروجها منه، أخبرها أنه مَن كان يجمع لها المياه الرائقة، ويرشّ ملابسها بالرائحة الجميلة، أجمل مياه النهر كانت لأجلها، وأجمل رائحة كانت لأجلها.

كانت قد عرفت منذ الليلة الأولى التى أحست فيها شفافية "الحزن"، وسمعت موسيقاه الشجية، أنها ستسمح له بأن يسكن عينيها مدة أطول من المتفق عليها، حتى إنها فى اليوم الخامس نسيت الاتفاق، ولم تتذكره إلا عندما رأت "الحزن" مرتبكًا، قلقًا، لدرجة نسى معها أن يُشغّل الموسيقا، طلبت منه فى هذه الليلة أن يختار موسيقا يحبها بشكل شخصى، وفى نفس الليلة عندما قالت له أنها تحب رقة تفاصيله، ابتسم "الحزن" وراوده إحساس جميل بأنه من الممكن أن يعيش كل حياته فى عينيها.

الآن لم تعد مهتمة بتلك النافذة التى فتحها لها "الحزن"، لتطل منها على الحياة وهى تمشى بطريقة لا يعرفها عنها الآخرون، ولم يعد "الحزن" يتذكر ما كان يهرب منه عندما جاء وطلب أن يسكن عينيها، وكلما فكر فى ذلك، وسأل نفسه أمامها بصوت مسموع، كأنه فى نفس الوقت يسألها: "مم كنت أهرب؟"، لم يكن يجد إجابة، فقط يشعر أنه ربما كان يهرب لأنه لم يكن قد وجد عينيها بعد.

فى شرفتها ذات الإضاءة الهادئة خمّنت اسم القطعة الموسيقية، وطلبت من "الحزن" أن يرفع الصوت كثيرًا، لم

يتكلما تلك الليلة، فقط ومن وقت لآخر يتبادلان ابتسامة بها شجن موسيقى، وكلٌ منهما يخمّن ما يفكر فيه الآخر.

خمّنت أن "الحزن" يفكر فى أنه سيعيش كل حياته فى عينيها.

خمّن "الحزن" أنها تفكر فى أن مثلما عيناها أجمل مكان "للحزن"، فإن "الحزن" أجمل مكان لعينيها.

كمنجة تعزف غير مبالية بأى شىء

يوم مناسب للعب، الثلج يساقط فى ندف هشّة رقيقة، تتدلل قليلاً فى هبوطها وتلعب ألعابًا صغيرة، حتى تمنح الوقت الكافى لأىّ أحد أن يختار واحدة منها أو بعضها، ويستقبلها فى فمه لتنعش قلبه، أو يعرّى لها صدره أو ظهره، لتسيل على جسمه مثل متعة مذابة.

الأمهات يُعددن الطعام داخل بيوت بنوافذ مفتوحة، ويراقبن الثلج والأولاد والبنات بالخارج، وبين لحظة وأخرى تقترب أم من نافذتها، وتمد يدها للسماء، لتحصل على حفنة من الثلج تذيبها على صدرها، أو تلتقط بعضه من حافة نافذتها وتمتصه بشفتيها، الأمهات فى هذه القرية على علاقة خاصة مع الثلج، ولن تصرخ أىّ منهن لطفلها أو طفلتها عندما يخلع الأطفال ملابسهم ويتمرغون فيه، ويتقاذفون كراته بينهم، حتى إنهم عندما يصنعون منه لبعضهم البعض تماثيل فى أوضاع مرحة، ويطلبون من أمهاتهم أن يلقين إليهم بحبّة فاكهة ليضعوها مكان

فم التمثال أو أنفه، أو قطعة من الصوف يلفّونها حول عنقه لتحميه البرد، سيلقين إليهم بأكثر مما يطلبون، الأمهات هنا لا يرفضن طلبًا لأولادهن وبناتهن مهما كان.

بعد أن تنتهى الأمهات من الطعام يتركنه فوق نار هادئة تحتفظ له بدفئه، ثم يقفزن من النوافذ ويلقين بأنفسهن للثلج، يتمرغن فيه مثل طفلات كبيرات، فتربكه أعضاؤهن الأمومية، وتجعله غير قادر على تسمية ما يشعر به، لا يعرف غير أنها متعة عجيبة، تجعله يرتجف ويطلق صرخات سعيدة مع الصرخات المرحة التى تطلقها الأمهات الطفلات، ليحرضن أولادهن وبناتهن على المزيد من اللعب.

متى ظهر الرجال والفتيات والشباب؟

ربما لم يلاحظهم أحد لأنهم دخلوا الشوارع بالموسيقا والرقص، كل رجل كان يعزف على آلة موسيقية، وكل فتاة كانت ترقص رقصة لعوبًا، فليس فى القرية رجل إلا ويجيد العزف على آلة موسيقية أو أكثر، ولا امرأة إلا وتجيد ثلاث رقصات على الأقل، امتزج الجميع فى الشوارع تحت الثلج مثلما تمتزج الموسيقا، حيث يمكن بسهولة تمييز صوت كل آلة وإحساسها الخاص، وفى نفس الوقت لا يمكن عزلها عن صوت وإحساس الآلات الأخرى، فى الشوارع كان مزيج من ثلج هش وموسيقا حسّاسة، وفى البيوت مزيج من طعام دافئ ونوافذ مفتوحة.

لماذا رأته الأمهات أولاً؟ لأنهن دومًا أول من يرى؟

كان "الجليد" يتقدم باتجاههم، وللوهلة الأولى بدا بطيئًا، إلا أن الأمهات أدركن أنه قادم بكل سرعته، وأنه لم يأت هذه المرة من أجل اللعب، فتوقفن عن الرقص والصرخات المرحة، وبدأت الموسيقا تخفت سريعًا، فقط كمنجة واحدة ظلت تعزف فى مكان ما غير مبالية بأىّ شىء.

لو فكرت أىّ أم، أو أىّ ممن كانوا يلعبون بمصاحبة الموسيقا والرقص منذ لحظات، فيمن يمكن أن يأتى الآن ليشاركهم اللعب، لكان "الزلزال" أول من يخطر ببالهم، لأنه يحب هذه الفوضى، ويشعر بها مهما كان بعيدًا، فيترك كل شىء لأجلها، ويجدونه بينهم يشاركهم رقصهم وموسيقاهم، هم يحبون وجوده الفوضوى معهم، يروق لهم جنونه وشهوته الجموح للعب، ربما يفكرون أيضًا فى "البركان" الساكن على قمة جبلهم القريب، رغم أنه لم ينزل إليهم منذ المرة البعيدة، التى آذى فيها البعض منهم دون قصد منه، وظل بعدها على قمة الجبل لا ينزل إليهم، رغم محاولاتهم المستمرة معه، حتى فكروا أنه من الممكن ألا ينزل أبدًا، وصاروا يعتبرونه شمسًا برتقالية تجلس على جبلهم، تكتفى برؤيتهم، وتسعد لأنهم بخير.

"الجليد" هو من لم يكن حضوره متوقعًا الآن، ثم هو يفاجئهم ثانية بأنه لم يأت من أجل اللعب، لذا عندما صار على مسافة قريبة من القرية، توقفت ندف الثلج عن الهبوط، لأنها لا تشارك إلا فى اللعب، وبدأت أيدى الأمهات تبحث عن أطفالهن، والآلات الموسيقية تبحث عن بعضها بعضًا، كما بدأت الأمهات

من الحيوانات يجمعن أطفالهن بلهفة، إلا أن "الجليد" كان أسرع منهم جميعًا، فاندفع إليهم فى وقت واحد، وجمّدهم تماثيل ثلجية صافية المشاعر، فكان كل تمثال يجسّد شعورًا واحدًا نقيًا كأول ظهور له فى الحياة، وكانت الأمهات شريكات فى معظم التماثيل: أم تحيط وجه طفلها بيديها وتنظر له بحب كأنما تودعه بنظرة أخيرة قبل أن يملأهما "الجليد"، أم تحضن طفلتها وتغنى لها أغنيتها المفضلة حتى تُشعرها بالأمان، وأخرى تضع طفلتها خلفها وتمد ذراعيها للأمام بقوة تمنع "الجليد" عن الوصول إليها، خيول ترفع أقدامها عاليًا لتتفاداه، إلا أنه تسلقها وجمّدها فى هذا الوضع، بقرات يُرضعن أطفالهن بلهفة وكأنما يمنحونهن كل ما لديهن فى مواجهته، رجل يقف فاتحًا ذراعيه، وينظر فى عينى "الجليد" بلا خوف.

وصل "الزلزال" متأخرًا، أدرك هذا عندما كان على مسافة قريبة من القرية، ولم يعد يسمع صوتها الملىء بالفوضى، والذى لأجله ترك كل شىء، توقف فى مدخل القرية وتألم لسنوات أو لحظات لا يعرف، ثم دخل بهدوء، يتحرك بين التماثيل، يتطلّع إليها بشجن، ويتذكّر ما كان قلبه يقول له وهو فى طريقه: "أنت تعرف صوت اللعب جيدًا، وما تسمعه ليس صوت اللعب"، لم ينصت لقلبه وقتها لأنه كان يتمنى ألا يجد ما يراه الآن، هو يعرف الجميع ويعرفونه، لعب معهم مئات الألعاب، منحهم الكثير من الفوضى التى يحبونها، والجنون الذى يضيفونه لكل شىء فى حياتهم حتى طعامهم، كما منحوه

أوقاتًا من المتعة لن ينساها، بدأ يلمس التماثيل وينظر بعمق فى كل واحد منهم، يهمس باسمه، ويهزّه هزة واحدة رقيقة، ويذكر له حكاية قصيرة جمعتهما، أو كلمة لها قصة سرية بينهما، إلا ان أحدًا لم يلتفت إليه أو يبادله حكاية، فتوقف بينهم وقلبه ينصت لقلوبهم، حتى انتبه على صوت كمنجة تعزف فى مكان ما غير مبالية بأى شىء، وتذكر أنه يسمعها منذ وصوله القرية.

"الزلزال" كان يأتى فى أى وقت ليلعب مع القرية، وعندما يفعل ذلك فى وقت متأخر من الليل، ويستيقظون على حركته فى الشوارع، يراقبونه قليلاً من نوافذهم، ثم يستسلمون سريعًا لهزاته اللعوب ويعودون لأحلامهم، وفى الصباح ينظر كل منهم من نافذته ليتعرف على جيرانه الجدد بعد أن حرك "الزلزال" كل البيوت من أماكنها أثناء لعبه ليلة الأمس، ونقلها لأماكن أخرى، فقد كانت البيوت تترك نفسها للعب معه، تنزلق على الأرض بخفة، تدور حول نفسها فى فوضى محبوبة، تتفادى بعضها بعضًا أو يشاغب كلٌ منها الآخر بضربات غير مؤذية، وكان أهل القرية يتركون أى مصدر صغير للضوء فى متناول البيت، حتى ينير لنفسه أثناء تحركه، هذا إن لم يكن ضوء القمر كافيًا، ولمزيد من اللعب كان "الزلزال" الفوضوى يغيّر ترتيب الحجرات والأثاث فى نفس البيت، ويبادل نوافذ البيوت بعضها ببعض، أو يأخذ معه نصف جدار من بيت ما، ثم يعيده إليه فى المرة التالية أو لا يعيده، أيضًا كان يغيّر ترتيب شوارع القرية

وأشجارها، والمسارات المعتادة للمياه، ليمنحهم ويمنح نفسه المزيد من المتعة، فالجميع يبحثون دومًا عن لعبة جديدة.

توقف "الزلزال" على حدود القرية، يتطلّع للتماثيل والبيوت مرة أخرى، ويعاتب نفسه لأنه لم يصل فى الوقت المناسب، ربما استطاع أن يفعل شيئًا، إلا أنه طمأن نفسه قليلاً عندما رأى أمًا تبتسم له من بعيد، لكن هل يعرف أنه لو وقف عشرة آخرون فى اتجاهات مختلفة ونظروا إلى هذه الأم، فإن كلاً منهم وفى نفس اللحظة سيراها تبتسم له؟ ربما لم يفكر "الزلزال" فى ذلك، لكنه فكر بأن: "الأمهات لهن دومًا حلول خاصة"، ثم نظر "للبركان" الجالس شمسًا برتقالية على الجبل القريب، وأشار كلٌ منهما للآخر بطريقة فيها شيئًا يخصهما وحدهما.

بعد أن ابتعد "الزلزال"، اقترب "البركان" من حافة الجبل ونادى القرية، إلا أن أحدًا لم يرد، ففكر أن ينزل إليهم ويقشر عنهم "الجليد"، لكنه بعد أن نزل لنصف الجبل، تذكر ما فعله دون قصد منه فى آخر مرة نزل فيها، فارتجف وعاد إلى مكانه.

مر عام كامل، وكمنجة واحدة تعزف فى مكان ما بالقرية غير مبالية بأى شىء، و"البركان" ينزل كل يوم لنصف الجبل ثم يرتجف ويعود إلى مكانه، ويأتى "الزلزال" ليتمشى بين التماثيل، يهزهم برفق، ينظر فى عيونهم، يهمس بأسمائهم، يذكرهم بحكايات قديمة، ومتعة لا يمكن نسيانها، وينتظر أن يرد أحدهم بكلمة أو نظرة، إلا أن أيًا منهم لا يفعل، فيتمشى شجيًا بين

البيوت وينظر داخلها من خلف الجليد الذى يغطيها، وعندما يتأكد أن الدخان ما زال يتصاعد من أوانى الطعام الجالسة على نار وردية هادئة تنتظر عودة الأمهات، يبتسم لنفسه: "الأمهات لهن دومًا حلول خاصة".

ثم جاء يوم آخر مناسب للعب.

فى نفس الموعد من العام التالى جاء يوم يشبه تمامًا اليوم الذى تجمدت فيه القرية، إلا أن "الزلزال" لم يأت، ولم يحاول "البركان" نزول الجبل مثلما كان يفعل طوال العام، فقط سمع الكمنجة غير المبالية وهى تعزف طوال الليلة الماضية بطريقة مختلفة كأنها تنادى أحدًا تحبه، فى نفس الوقت كان يسمع صوت موسيقا لعوب ورفيف أجنحة يقتربان، وظل يتلفت حوله بحثًا عنهما، لكنه لم ير أيًا منهما إلا فى صباح هذا اليوم المناسب للعب، عندما دخل القرية "قوس قزح" ومعه "الرجل الموسيقا" الذى كان يعزف وفرقته تلك الموسيقا اللعوب، و"المرأة السيرك" التى كانت تلعب وسيركها المغامر ألعابًا جديدة، وظل "قوس قزح" يتنقل بين التماثيل والبيوت يلمسهم برفق، فيتفكك عنهم "الجليد" ويغادر مسرعًا فى اتجاهات مختلفة، بينما ظهرت طيور رقيقة وأوراق ملونة وسحابات صغيرة فى سقف القرية، كأنها سماء قريبة تخصها وحدها.

لماذا استيقظت الأمهات أولاً؟ لأنهن دائمًا أول من يستيقظ؟

الأمهات أول من استيقظ من تحت "الجليد"، وفورًا أطلقن صرخاتهن المحرّضة على اللعب، وقفزت رائحة طعامهن من

النوافذ المفتوحة للشوارع، تساقطت ندف الثلج الهشّة من جديد، واستقبلها الأطفال فى قلوبهم وعلى أجسادهم العارية، بدأ الرجال يلعبون على آلاتهم الموسيقية، وانطلقت الشابات فى رقصاتهن اللعوب، صهلت الخيول، وصحبت البقرات أطفالهن ليستحموا فى النهر الصغير، انطلق فى القرية مزيج من موسيقا لعوب، ثلج هش، طعام دافئ، نوافذ مفتوحة، صيحات سعادة، وبين الجميع يتحرك "قوس قزح" بإحساس أنه يعيش أجمل أيام حياته، بينما "البركان" جالس على قمة الجبل مثل شمس برتقالية تشعر بالسعادة لأن القرية بخير.

لم تتذكر القرية أى شىء عن "الجليد"، وكأنهم فقط استيقظوا فى يوم مناسب للعب، يعيشونه كيوم لا ينتهى، ويقضون فيه حياة كاملة، مليئة باللعب المجنون الصاخب، يوم واحد من اللعب الجموح أكثر متعة من اللعب العادى لعام كامل، يوم واحد من الحياة الحرة الصافية، يجربون فيه كل المشاعر والألعاب، مقابل عام من "الجليد، ولا ينتهى هذا اليوم إلا وكل من فى القرية لديه إحساس بأنه عاش حياته كاملة، ويندهش من أين يأتيه هذا الإحساس؟! كيف يمكنه أن يفعل ذلك فى يوم واحد؟! ما نوع هذا اليوم الذى يستوعب حياة كاملة؟! وما نوع القلب الذى يستوعب حياة كاملة فى يوم واحد؟!

وعند الغروب يفكرون أن يرتاحوا قليلاً، فقط قليلاً، عندها تمر فى القرية لسعة برد قديم، تبدو مثل حلم بعيد يراه الجميع ولا يتذكرون تفاصيله، إلا أن الأمهات يشعرن بتفاصيل الحلم ويتوقعن شيئا ما، فتبحث أيديهن بتلقائية عن أطفالهن، تخفت

الموسيقا شيئًا فشيئًا، تتباطأ الرقصات، تعود البقرات بأطفالهن من النهر، تتوقف ندف الثلج الهشّة عن الهبوط، تعود رائحة الطعام لداخل البيوت، ينسحب "قوس قزح" و"المرأة السيرك" و"الرجل الموسيقا"، تغادرهم سماؤهم الخاصة، يشعر كل منهم بذكرى برد قديم، ويبدأ بتلقائية فى العودة لوضعه الذى كان عليه وقتما كان تمثالا، يعود "الجليد"، وتحضن القرية بعضها بعضًا فى انتظار يوم جديد مناسب للعب، وحتى يأتى هذا اليوم، ستظل كمنجة واحدة تعزف فى مكان ما غير مبالية بأىّ شىء.

لها ابتسامة محبوبة، ولهم أسماء مخيفة ومضحكة، فهل يعرف جدها أنها اليوم ستجعل منه بحارًا؟

ستقول إنها ترى على الشاطئ سفنًا تستعد للإبحار، وفى السفن بحّارة يتقافزون بين الأشرعة، ينظرون للبحر بشغف، وينادون بعضهم بعضًا بأسماء بَحريّة مخيفة ومضحكة فى نفس الوقت، تصفهم له، وتهتم بتفاصيل آثار الجروح التى تركتها زعانف الأسماك فى أذرعهم وصدورهم.

عندما تفعل ذلك، تصعد من قلب البحر سفن قديمة، كان يُعتقد أنها غارقة أو منسيّة، وتبدأ السفن المحطمة على الشاطئ بتجميع أجزائها سريعًا، تنهض أشرعتها وتشهق بقوة لتعبئ رئاتها بالهواء وتستعيد حياتها، ينتفض البحارة الغرقى كأسماك أعيدت للبحر، ويصعدون من تحت الموج لسفنهم، يتقافزون بين الأشرعة والموج يسّاقط من أكتافهم، ينادون بعضهم بعضًا بأسمائهم المخيفة المضحكة، يصيحون حتى يملئون الهواء بأصواتهم، يتبادلون الشتائم المرحة فيما بينهم، والأحضان

القوية فيما بينهم وبين البحر، وعندما ينظرون للشاطئ، يرون ابتسامة عينيها بوضوح، ويشعرون أنهم يعرفونها منذ مدة طويلة، يلقون لعينيها تذكارات بَحريّة، ويلوحون لها، فتلوّح لهم وتقول لجدها

:يسألون إن كنت تريد شيئًا؟

:أريد أن أكون بحارًا.

هكذا تفعل الطفلة مع جدها الأعمى، تمشى به العالم، تصفه له بطريقتها، وتقول ما تحب أن تراه، فيتحوّل العالم لما تحكيه عنه، كأنما تعيد تشكيله على هواها، وعندما ينظر لها أى أحد أو أى شىء أعادت تشكيله، ويرى ابتسامة عينيها، يشعر أنه يعرفها منذ مدة طويلة، لكنه لا يتذكر اسمها، إلا أن ابتسامتها المحبوبة لن تجعل أى أحد أو أى شىء يسأل نفسه متى وأين رآها من قبل.

الطفلة لا تكبر فى العمر، ولا تعرف متى توقفت عن أن تكبر، لا تذكر أنها فى يوم من الأيام كانت أصغر مما هى عليه الآن، يدها هى نفسها اليد الصغيرة التى تمسك منذ سنوات طويلة بيد الجد الكبيرة وتجول به العالم، لا تذكر أنها حصلت على جدها من خلال أم وأب، ولا يذكر أنه حصل عليها من خلال ابن أو ابنة، كأنما لا أحد ولا شىء فى المسافة بين الجد الأعمى وحفيدته، التى ترى العالم كما يحلو لها، وتحوّله لمكان يمكن التجوال فيه طوال الوقت، وهو ما جعل الجد العجوز لا يفكر أن يموت، أو يغادر العالم ولو لبعض الوقت، وكلما

خطرت له الفكرة، ولو لمجرّد أن يجرّب شيئًا آخر، يقول لنفسه "كيف أموت وأترك هذا العالم!!"، إلا أن هذا لا يمنعه أن يقاطعها في لحظات مفاجئة له، ويسألها

:أهذا ما ترينه بالفعل؟

فتنظر له، وللعالم

:نعم.. تأكد بنفسك.

وتمسك بيديه تضعهما على العالم ليتحسسه، فيجده كما وصفته له، في نفس الوقت يتحسس العالم نفسه ليتأكد أنه قد صار إلى ما حكته الطفلة عنه.

هل تعرف الطفلة متى بدأت ترى العالم على طريقتها؟ أم أنها لم تكن تفعل غير أن تراه على طريقتها طوال الوقت، فيحدث معها الأمر بتلقائية، كأن ما تراه مجرد طريقة أخرى متاحة للعالم كي يجرّبها، فقط يحتاج لمن يذكره بها، أو ربما الأمر أكثر تلقائية وبساطة من هذا، فتلك طريقتها، وهي تحصل عليها، في حين يبدو أن الجد كانت له علاقة سابقة بعالم لم تكن الحفيدة موجودة فيه، وهناك كانت تراوده فكرة الموت، ولم يكن لديه مانع أن يجرّبها، ولو لمجرد التغيير، لولا ظهور تلك الحفيدة التي أثرت فيه بما يكفي ليتشبث بالعالم، ويتخلى عن فكرة الموت أو على الأقل يؤجلها لما لا نهاية، غير أنه لا يذكر شيئًا من عالمه البعيد هذا، وليس معه الآن غير إحساس مثل فاصل وهمي بين ذلك العالم، والعالم الذي ظهر مع الحفيدة، متى ظهرت له حفيدته؟ حتى إنه لا يذكر اسمها، هل كان لها

اسم فى أى وقت؟ لا يذكر، مثلما لا تذكر أنه حدثها عن أمها أو أبيها فى أى وقت، أو صحبها مرة لبيته، هل له بيت؟ لماذا لا تطلب منه ذلك؟ لا تذكر أنها طلبت منه أن يحدثها عن أمها أو أبيها، أو أن يصحبها إلى البيت ليرتاحا قليلاً من التجوال فى العالم، وكأن العالم هو بيتها الذى تجول وتنام فيه، وتعيد تشكيله بمجرد النظر، متى ظهر لها هذا الجد؟ لا تذكر؟

لا يرتبك العالم وهو يتحول لما تراه الطفلة، يفعل ذلك بسهولة، حتى لم يعد يستطيع أن يتعرف على نفسه أمام عينيها، وإن كانت حقيقته هى ما يعرفه عن نفسه فى لحظة ما، أو ما تحكيه الطفلة عنه فى نفس اللحظة، لم يكن ذلك يغضبه منها، كان يحدث نفسه: "ربما أنا الاثنان معا"، وكانت الطفلة تسأل نفسها أحيانًا عن العالم الذى كان هنا منذ لحظة، ولأين ذهب، ثم تهز كتفيها، ولا يساورها القلق من أى شىء، هل كان العالم يتحول لما تريده الطفلة لأنه يحب ما تراه فيه وتحكيه عنه، أم أن عيناها قادرتان على تحويله لما تحب؟

فى كل مكان بالعالم، تختار الطفلة لنفسها ولجدها مكانًا صغيرًا، يبقى فيه طيفاهما مثل ظل سحابة متجولة، فى أحد هذه الأماكن وبعد جولة امتدت لسنوات، جلست آخر الليل، ومدت يديها الصغيرتين مفتوحتين لجدها، ليلتقط من إحديهما كسرات الخبز الصلبة، ويبللها من ماء يدها الأخرى حتى شبع، ثم مد يديه الكبيرتين يتلمس وجهها وروحها، هل يطمئن أنها لم تكبر بعد؟ أم يتساءل لماذا لا تزال طفلة؟ يتنهد: "آه طفلتى"، يتمهل

بأنامله عند عينيها، يتلمس جفونهما، أهدابهما، ويشعر بالضوء يخرج منهما ويداعب باطن يديه، يهمس لها: "أحب عينيك"، ويظل حاضنًا يدها الصغيرة عند قلبه حتى ينام، فيرى فى أحلامه شابة ترتدى لون حقول الضوء التى تجرى فيها.

يمشى الجد فى حلمه، خلف الشابة وسط حقول ضوء لا نهائية، بينما تسحب الطفلة يدها من بين يده وقلبه، وتترك معه طيفها يسهر عليه، ثم تمشى وحدها فى العالم بخطوات صغيرة، تتحسس تفاصيله، تحضنه أحضانًا عميقة، تحكى وتغنى له، وتمر ببلاد كثيرة لا تفعل فيها غير التجوال، فتتعثر وتسقط فى مياه وأراض بعيدة، وتنهض لتكمل تجوالها المحبوب، تمشى بمحازاة أنهار وبحار، تتحسس الماء، القوارب، الأسماك، والسفن، تتوقف لتستمع للبحارة ينادون بعضهم بعضًا بأسمائهم المخيفة المضحكة، ويتبادلون الشتائم المرحة، ثم تجول فى بلاد أخرى تنصت فيها لصيحات الأطفال أثناء لعبهم، تجلس بمحازاة اللعب تتلمسه بيديها، وتتحسس كل من يلعبون، تدخل بيوتًا مفتوحة، ويتركها أصحابها تجول فيها حتى تنتهى، وتخرج من نافذة قريبة كما يحلو لها دائمًا أن تفعل، وعندما تتوقف على أحد جانبى شارع بسيط، وتنتظر أن يمسك أى كائن ليلىَ بيدها ليعبر بها للجانب الآخر، ستهمس فى أذنه: "هل تعرف منذ متى وأنا عمياء؟"، فلا يجيبها، لأن لا أحد يعرف عنها غير إحساسه بأنه يعرفها منذ مدة طويلة، لكنه فى نفس الوقت لا يذكر اسمها.

بعد أن يُطلقها الكائن الليلىّ على الجانب الآخر من الشارع، تواصل الطفلة تجوالها فى العالم، وتفكر أن جدّها لا بد أنه يعرف متى صارت عمياء، أو أنها كذلك طوال عمرها، لكنها لا تسأله أبدًا.

يعود جدّها من حلم حقول الضوء، ويستيقظ فى موعده، فيجد يدها عند قلبه.

يصادفها العالم فى كل تحركاته، وينظر فى عينيها، فيشعر أنه يعرفها منذ مدة طويلة، يتحوّل لما تريد أن تراه، وتنسيه ابتسامة عينيها المحبوبة أن يسأل نفسه أين ومتى رآها من قبل.

لكن، هل يعرف جدها أنها اليوم ستجعل منه بحارًا؟

قصة تسهر طوال الليل، وتجول العالم فى الصباح

بيانو، كمنجة بيضاء، ثلاث قيثارات قرمزية، وتشيللو، يلعبون موسيقا تسهر طوال الليل فى حجرة بعيدة واسعة، ثم تقفز فى الصباح الباكر من النافذة المفتوحة وتجول العالم.

تصل الموسيقى لمكان يحب الحياة، وملون بألوان لم تجف بعد، تجول فيه، فيراها ثلاثة قرود يلعبون على شجرة قريبة، ويتوقفون عن لعبهم ليتفرجوا عليها، كما تتوقف أربع غزالات عن ملاحقة بعضها بعضًا لتنصت لها، وعندما تلمح الموسيقا كوخًا يقف بمفرده، تقترب منه، وقبل أن تسأله، يخبرها بأنه يعيش مع جامع خشب عجوز وابنته الشابة، ورغم أن لا كوخ هنا غيره، ولا بشر غير العجوز وابنته، إلا أنهم لا يشعرون بالوحدة، تدور الموسيقا حول الكوخ دورتين رشيقتين، ثم تتسلقه برفق لتعانق الدخان المتصاعد منه، وترقص معه لبعض الوقت قبل أن تُلقى نظرة بالداخل على الشابة ابنة جامع الخشب وهى تعد الطعام، هل لاحظت الموسيقا أن اليد اليمنى للشابة ينقصها

إصبع؟ وهل فكرت أن لهذا علاقة بالإصبع الزائد فى اليد التى لعبت على البيانو فى الحجرة البعيدة التى قفزت من نافذتها؟

انطلقت الموسيقا تجول فى المكان وألوانه التى جفت منذ قليل، وعندما تأكدت أن لا كوخ غير الكوخ الصغير، ولا بشر غير جامع الخشب وابنته، فكرت أن تجعل من نفسها قصة قصيرة، بها كوخ صغير، ويتحوّل فيها صوت البيانو إلى شاب يبحث عن قصة حب يعيشها، والكمنجة لأم طيّبة، والقيثارات لثلاث غزالات، والتشيللو لدب يرقد على بطنه قريبًا من الأشجار الكثيفة، حيث يفاجأ به العجوز، وتسقط قطع الخشب الخفيفة من فوق ذراعه، دون أن يكون هذا دليلاً على خوفه، فهو لن يفكر وقتها إلا فى ابنته، لكنه لن يفكر طويلاً، لأن الشاب البيانو سيظهر له فجأة كأنما تشكّل من الهواء أو النور، ومعه ثلاث غزالات، يصحبهن للدب ويتركهن معه، ثم يمشى للعجوز ويتوقف بمواجهته، فينظر العجوز فيه بدهشة، ليس بسبب ظهوره المفاجئ، ولا لأنه مسح رأس الدب قبل أن يترك معه الغزالات، ولكن لأن جامع الخشب العجوز نسى أنه قد رأى أحدًا فى أى وقت مضى، ونسى أنه من الممكن أن يرى أحدًا فى أى وقت، والآن يرى هذا الشاب، وهذا الشاب يشير له باتجاه كوخ ليس بالقريب ولا البعيد، ويخبره أن أمه هناك تعد طعامًا خاصًا، ويريده وابنته أن يشاركاهما فيه، ينظر العجوز للكوخ، ولرائحة الطعام القادمة باتجاهه، فيشعر بأن الكوخ موجود طوال عمر المكان، لكنه فى نفس الوقت لا يحمل له أية

ذكرى، فيحتار بين مشاعره وذاكرته، هل من الممكن ألا يكون قد لاحظ الكوخ طوال هذه السنوات؟! أم أنه تقدم جدًا فى العمر، حتى إنه نسى الشاب وكوخه؟ فكّر العجوز أن يصحب الشاب لابنته، ربما تعرف أو تتذكر شيئًا، فطلب منه أن يأتى معه لكوخه، ويوجه الدعوة لها.

كانت الشابة تفعل شيئًا حرصت ألا يفهمه أحد بشكل واضح حتى لو رآه بشكل واضح، بينما أبوها والشاب البيانو يقفان فى فتحة الكوخ يراقبانها للحظات، قبل أن يناديها الشاب، فيرتعش قلبها، وتعرفه قبل أن تلتفت لعينيه، لأنها بطريقة ما عرفته طوال عمرها، بهدوء وسرعة تحركت دموع حلوة فى عينيها، وبدأت تسمع موسيقاها المحبوبة، التى تسمعها دومًا عندما تتمشى وحدها بعيدًا فى المكان، وعندما التفتت للشاب البيانو وابتسما لبعضيهما تلك الابتسامة الحلوة، أدرك العجوز أنه بالفعل قد تقدم فى العمر.

عند المساء، ارتدت الشابة ثوبها المحبوب، المطبوع برسم لقارب وسحابة يتكرران مئات المرات كأنهما فى قصة حب، وجلست مع أبيها والشاب وأمه والدب والغزالات الثلاث فى المسافة بين الكوخين، حول الطعام الخاص الذى أعدته الأم، حاول العجوز أن يتذكر أى شىء جمعه بالشاب أو أمه، وعندما لم يستطع اقترح أن يلعبوا لعبة "القصة"، بأن يرتجل أحدهم بداية قصة ما، ويرتجل الآخرون إكمالها واحدًا بعد الآخر، اشترك الجميع فى اللعبة بمن فيهم القارب والسحابة فى ثوب

الشابة، التى كانت متحمسة جدًا للعب، حتى إنها ارتجلت أكثر من الجميع، بينما فكر جامع الخشب مرة أخرى، أنه بالفعل قد تقدم جدًا فى العمر عندما لم يحصل من لعبة "القصة" على ذكرى تجمعه بالأم أو ابنها، وطلب أن يبدءوا شيئًا آخر، فبدأت الأم تحكى مجموعة من القصص التى حدثت قبل أن يعرف البحر اسمه، وهى القصص التى يحبها ابنها، وتعرف أن الشابة ستحبها، ظلت تحكى حتى سمعوا صوت موسيقا تأتى من ناحية تسكنها أشجار، وسلسلة جبال قصيرة، وجسور خشبية، وجداول مياه تتحرك بهدوء، بدت كلها من بعيد، وتحت القمر الخافت، كما لو أنها الفرقة التى تعزف الموسيقا.

نهض الشاب والشابة يرقصان على صوت الموسيقا، وابتعدا حتى صارا ضمن فرقة العازفين، وعندما أحست الشابة بإصبع زائد فى يده اليمنى، توقف عن الرقص، وانحنى يقطع شريطًا صغيرًا من طرف ثوبها المحبوب، ثم قطف إصبعه الزائد كما يقطف وردة، وثبّته فى يدها مكان الإصبع الناقص، لفّ حوله شريط القماش وعقده عقدة رشيقة، وطلب منها أن تفكّها فى الصباح.

قبل الصباح نامت الشابة على جنبها، ويدها ذات الإصبع الملفوف بشريط القماش تحت خدها، ونام أبوها بجوار الكوخ كما يحب أن يفعل دومًا، فى الكوخ الآخر كان الشاب وأمه والدب والغزالات، يفكرون فى أنفسهم وقد كانوا قطعة موسيقية جاءت من حجرة بعيدة، والآن هم قصة قصيرة، يعيش فيها

الشاب البيانو قصة حب مع ابنة جامع الخشب. فاقترحت الأم أن يكونوا قصيدة شعر تلقى نفسها للشابة، على أن تكون روح القصيدة هى روح الشاب البيانو، وقد بدأت الأم، وجعلت نفسها أول جملة فى القصيدة، فكانت مزيجًا من حنان وحضن وقبلة عميقة فى الصدر، ثم كان الشاب البيانو مجموعة من الجمل كأنها سحابة تتبعها نجمة يمسك بذيلها حلم بعده أربعة قلوب تلحقهم قصة عن الحنين يليها إحساس بالحب ثم قلب، وكانت الغزالات جُملاً مراوغة لعوبًا ستجعل الشابة تبتسم، وجعل الدب من نفسه جملة واحدة قوية ستلمس أبعد نقطة فى قلبها، قبل أن يظهر الشاب ثانية فى نهاية القصيدة على هيئة ثلاث كلمات مغرمات.

استيقظت الشابة فى الجزء الأخير من الليل على صوت قصيدة تلقى نفسها خارج الكوخ، لكنها لم تفتح عينيها إلا مع بداية الجزء الذى تحول إليه البيانو الشاب، وأحست بشىء يدخل قلبها بقوة وحنان معًا، فجلست مرتبكة تنصت بروحها وجسدها، وعندها تأكدت القصيدة من استيقاظها أعادت نفسها من جديد، فأحست الشابة كأنها تحضن هواءً مغرمًا بها، جعلها تبقى بمكانها حتى قرب نهاية القصيدة، وعندما خرجت إليها، وصلت مع آخر ثلاث كلمات فيها، فلم تتأكد إن كانت قد رأت شيئًا يشبه قصيدة قبل أن تلمح لوحة ذات إطار خشبى قديم تلقى نفسها للأرض.

التقطت الشابة اللوحة ونظرت فيها، لترى الشاب بأصابعه الإحدى عشر يلعب على بيانو أمام كوخ فى مكان ملون، وامرأة كما لو أنها أمه تقف قريبًا منه، وتلعب على كمنجة بيضاء، وفى العمق ثلاث فتيات يلعبن على قيثارات قرمزية، وفى إحدى الزوايا رجل بشعر أبيض غزير يلعب على التشيللو، وهو مُنحنٍ إليه كما لو أنه على هذا الوضع طوال حياته، كانت اللوحةً مرسومة بخطوط رفيعة سوداء مع مساحات من الأبيض الشاهق، نظرت الشابة تجاه كوخ الشاب وأمه، لكنها وبسبب الضباب لم تتأكد من وجوده، وبدا كما لو أنه يتبادل الظهور والاختفاء.

عادت الشابة باللوحة، سندتها للكوخ بمواجهة عينيها، وتمددت على جنبها ويدها تحت خدها، لكنها عندما رأتهم يتحركون داخل الإطار الخشبى، كأنما يستعدون ليلعبوا الموسيقا، جلست على ركبتيها ونظرت فيهم، فرأتهم ثابتين بأماكنهم، لكنها لم تكن متأكدة إن كانوا على وضعهم الذى كانوا عليه عندما وجدت اللوحة أمِ غيّروه، فخرجت واتجهت للكوخ الذى لم يكن مفهومًا أو معروفًا لها إن كان موجودًا أم لا، لكنها توقفت بعد عدة خطوات، عندما سمعت موسيقاها المحبوبة تأتيها من كوخها، عادت ومرت عيناها على أبيها الذى ما زال نائمًا وكأن ما يحدث يخصها وحدها، ومن مكانها فى فتحة الكوخ رأتهم بوضوح فى اللوحة وهم يعزفون، اقتربت منهم، وقبل أن تجلس على ركبتيها تتأملهم، كانوا قد توقفوا عن

تعزف، فلم تعرف إن كانت قد توهمت صوت الموسيقا، وتوهمت حركتهم داخل اللوحة، لكنها كانت تعرف أن الأم والأب والفتيات الثلاث لم يكونوا ينظرون إليها في وضعهم السابق كما يفعلون الآن، وحده الشاب كان ينظر لعينيها في كل أوضاعه باللوحة.

استلقت الشابة على جنبها، يدها تحت خدها، عيناها في اللوحة، ومباشرة لعيني الشاب الجالس للبيانو، لم تعد مهتمة إن كانوا قد تحركوا، وإن كانوا سيتحركون ثانية ويلعبون الموسيقا، وإن كان كوخهم ما زال موجودًا أم اختفى، أو أنه لم يوجد أبدًا، فقط ظلت عيناها في عيني الشاب لمدة لا تعرفها، حتى كانت لحظة بين النوم واليقظة، سمعت فيها صوت الأم يحكي لها قصة جديدة من مجموعة قصص قبل أن يعرف البحر اسمه.

عندما استيقظت في الصباح، نظرت الشابة للمكان الذي وضعت فيه اللوحة فلم تجدها، تلفتت حولها، وفتشت حاجيات الكوخ البسيطة، خرجت ونظرت لما يُفترض أن يكون كوخ الشاب وأمه فلم تجده، لمحت أباها بعيدًا بين الأشجار وعلى ذراعه قطع الخشب كأنه في عالم يخصه وحده، وقبل أن تفكر أن ما رأته بالأمس كان حلمًا، أحست بإصبعها الجديد، نظرت إليه، وتذكرت أن شابًا يشبه الموسيقا ظهر لها بالأمس، رقص معها، ومثلما يقطف وردة، قطف إصبعه الزائد من يده، وثبته مكان الإصبع الناقص في يدها، ولفه بشريط قماش قطعه من طرف ثوبها المحبوب، فكت الشابة عقدة الشريط الرشيقة،

فوجدت إصبعها جديدًا كما لو أنها حصلت عليه بالأمس، وفى نفس الوقت بدا قديمًا كما لو أنها مولودة به، ربطت الشريط حول خصلة من شعرها، واتجهت حيث كان كوخ الشاب وأمه حسب الليلة الماضية، وهى تعرف أنهما لا بد قد تركا شيئًا لها، وهناك على العشب، وجدت كتابًا صغيرًا، غلافه هو اللوحة التى وجدتها ليلة الأمس، فتحته فتصاعدت منه موسيقاها المحبوبة، تصفحته فوجدته لوحات بسيطة مرسومة بخطوط سوداء رفيعة مع مساحات بالأبيض الشاهق، وكلها تصوّر قصصًا حكتها الأم من مجموعة قبل أن يعرف البحر اسمه، توقفت الشابة عند الصفحة التى تحكى كيف تعرّف البحر إلى حبيبته الأولى، وضعت يدها على الصفحة وتأملت إصبعها الجديد، الذى كان يشير لنافذة مفتوحة فى البحر، تطل حبيبته منها عليه.

وفى حجرة بعيدة، واسعة، تحب الحياة، كان إحدى عشر إصبعًا، مع بيانو، كمنجة بيضاء، ثلاث قيثارات قرمزية، وتشيللو، يلعبون موسيقا تسهر طوال الليل، ثم تقفز فى الصباح الباكر من النافذة المفتوحة وتجول العالم.

المرأة السيرك، الرجل الموسيقا

يحمل الموسيقا فى قلبه.
تحمل السيرك فى رأسها.
كلٌ منهما يجول العالم وحده بلا خطة مسبقة.

ومثلما يمكن "للرجل الموسيقا" أن يلعب الموسيقا فى أىّ وقت وأىّ مكان، يمكن "للمرأة السيرك" أن تنصب السيرك الخاص بها، هو ليس خاصًا بها أكثر من كونها تحمله فى شعرها، فهو يخص أىّ كائن آخر بنفس الدرجة، ما يجعله سيرك حرًا، لا يخص أى أحد.

لم يكن السيرك يكلفها غير قطعة من الخشب أو البلاستيك، تحصل عليها من أىّ مكان، وتستعمل معها الطرف الحاد من مشبك شعرها، لتشكّلها فيونكة لشعرها على هيئة دب أو فيل أو مهرج أو قرد، ثم تلوّنها، وعندما يجف اللون وتضعها فى شعرها، تصير فردًا فى السيرك، وجاهزة للمشاركة فى ألعابه، فعندما تتوقف المرأة فى شارع أو ساحة،

ما عليها إلا أن تهز رأسها بقوة يمينًا ويسارًا عدة مرات وهى تضحك ضحكتها البهلوانية، فتقفز الفيونكات من شعرها للأرض متحولة لسيرك حقيقى فيه دببة وأسود ومهرجون، وكائنات أخرى مغامرة.

"الرجل الموسيقا" لا يحتاج غير أن يُدخل يده تحت ملابسه جهة قلبه، ويسحب كمنجته المحبوبة، ويبدأ العزف معها حتى يقفز من بين أوتارها أعضاء فرقته الموسيقية واحدًا بعد الآخر، وكلّ منهم معه آلته الموسيقية يعزف عليها، فيشتركون جميعًا فى لعب الموسيقا، دون أن يعرف أحد من الجمهور إن كان "الرجل الموسيقا" قد سحب كمنجته من قلبه أم من تحت ملابسه، لذا ومن وقت لآخر يفاجئه البعض ويكشفون صدره، أو يقترب أحدهم منه ويدفع يده تحت ملابسه جهة القلب بحثًا عن الكمنجة، إلا أن أيًا منهم حتى الآن على الأقل لم يعثر عليها، أحيانًا أخرى يكشفون صدره كله، ويحاولون اكتشاف الفتحة التى يُدخل منها يده، فيرى بعضهم خطًا متعرجًا أو رسمًا لكمنجة جهة القلب، ويرى البعض الآخر أثرًا لجرح قديم.

"الرجل الموسيقا" و"المرأة السيرك" لا يتقابلان إلا نهارًا واحدًا كل عام عندما يذهبان مع "قوس قزح" لقرية عجيبة، يسكنها الجليد طوال العام، ويُجمّد كائناتها فى أوضاع مختلفة، لكنه يغادرهم فى ذلك النهار الواحد الذى يتكرر كل عام، ويستعيدون فيه حياتهم منذ الصباح الباكر، ولا يفعلون شيئًا غير اللعب، فيجرّبون كل المشاعر والألعاب كأنهم يعيشون حياة

كاملة، وفى نهاية هذا النهار يعود الجليد إليهم، ويجمّدهم ثانية على هيئة تماثيل ثلجية صافية، ترتسم فى وجوهها كل المشاعر الإنسانية، بينما يغادرهم "قوس قزح" و"الرجل الموسيقا" و"المرأة السيرك"، ويذهب كل منهم فى اتجاه.

ولأنهما لا يتقابلان إلا نهارًا واحدًا كل عام فإن "الرجل الموسيقا" يترك "للمرأة السيرك" شيئًا ما فى كل قرية أو ساحة أو مدينة أو شارع يعزف فيه، وتفعل له نفس الفكرة، فتترك له شيئًا فى أى مكان تنصب فيه السيرك، وعندما يتقابلان فى ذلك النهار بالقرية، يرد كلٌّ منهما أشياء الآخر، ثم يبدآن من جديد فى التقاط الأشياء التي يتركانها لبعضهما بعضًا، يحبان هذه اللعبة، وبها يعرف كلٌّ منهما أن صاحبه ما زال يذكره، وما زال فى العالم سيرك، فى العالم موسيقا.

لا تعرف اسمه ولا يعرف اسمها، لا يهتمان بذلك، ولم يخطر ببال أحدهما أن يسأل الآخر عن اسمه حتى الآن، ويبدو أنهما لن يفعلا، فقط لا ينسى كلٌّ منهما أن يجهز الهدية التى سيقدمها للآخر عندما يتقابلان فى ذلك النهار بالقرية، فيعزف لها قطعة موسيقية اخترعها لأجلها، وتؤدى له لعبة اخترعتها لأجله.

يحب "الرجل الموسيقا" أن يرى الأسود، الدببة، الأفيال، القرود، المهرجين، السحرة، وكل المغامرين فى سيرك صاحبته، وهم يقفزون من الأرض باتجاهها بعد أن ينهوا ألعابهم فى ذلك النهار بالقرية، فيبدو أنها لن تنجو منهم، ولن

يتحولوا لشىء آخر، لكنهم وقبل لحظة واحدة من الوصول إليها، يتحولون لفيونكات ملونة كلّ منها تعرف مكانها فى شعرها، يحب "الرجل الموسيقا" هذه اللحظة حتى إنه يريد أن يقبض عليها بيده، مثلما يقبض على فراشة، يحرص ألا يضغطها داخل كفه، فيفتح أصابعه بما يكفى ليتفرّج عليها، لكن لأنه يخشى أن يحطّم أجنحة الفراشة، فهو لا يمسك بها من الأساس، ومثلما يحاول قدر استطاعته أن يقبض عليها، يحاول فى نفس الوقت أن يمنحها فرصة للهرب، وبنفس الإحساس لم يقبض "الرجل الموسيقا" بيده أبدًا على اللحظة التى يعود فيها السيرك لشعر صاحبته، ويدعها تمر أمام عينيه، حتى لا يحطم دهشته منها وسعادته بها لو أنه أغلق يده عليها، "المرأة السيرك" أيضًا تحب أن ترى عازفى فرقته الموسيقية وهم يقفزون من بين أوتار كمنجته، ويتجمعون حوله فى فوضى محبوبة، تحب عينيه وهو ينظر لفرقته وموسيقاه، وتفكر أن لا شىء أجمل من عينيه عندما ينظر لشىء يحبه، هى تعرف كل عازف جديد ينضم للموسيقا فى كمنجته، ويعرف كل مغامر جديد ينضم للسيرك فى شعرها.

عدا ذلك النهار بالقرية لا يتصادف "الرجل الموسيقا" و"المرأة السيرك" فى العالم إلا وهناك مسافة تفصل بينهما، كأن تراه ليلاً مع فرقته على جبل بعيد يمشون مثل ظلال موسيقية، يعزفون صعودًا للقمر، أو نزولاً لمكان بسيط يعيش أسفل الجبل، ويراها "الرجل الموسيقا" بعيدًا بين موج البحر، ومعها

السيرك مثل جنيّات وعفاريت يمارسون ألعابهم ليُمتعوا البحارة والأسماك، وفى هذه اللحظة بينما "الرجل الموسيقا" على الجبل و"المرأة السيرك" فى البحر، يقف العالم فى ركن قريب منهما، ويتنقل بعينيه بينهما وهو يبتسم ويضحك ضحكات نصف مجنونة، ثم يبتسم ويضحك ضحكات أكثر من مجنونة، بعد أن تدور فى رأسه أفكار عنهما، مثل: كيف سيكون شىء يشترك فى اختراعه رجل يحمل الموسيقا فى قلبه وامرأة تحمل السيرك فى رأسها؟ أو كيف سيكون بيت تعيش فيه الموسيقا والسيرك؟ يضحك العالم عندما يتخيّل ذلك، وتلمع عيناه كأنما يرى أشياءً مبهرة، وتعجبه كل أفكاره عن "المرأة السيرك" و"الرجل الموسيقا"، بينما يفكر كل منهما فى نفسه على أنه مخترع للمتعة والسعادة فى العالم.

"الرجل الموسيقا" يفكر أحيانًا: هل "للمرأة السيرك" بيت؟ كيف يمكن أن يكون؟ هل يمكن أن يكون واحدًا من تلك البيوت التى يعزف أمامها فى تجواله؟

وتفكر "المرأة السيرك" إن كان "للرجل الموسيقا" بيت، هل يمكن أن يكون واحدًا من تلك البيوت التى تلعب أمامها فى تجوالها؟ وكيف سيكون بيت رجل يحوى كل هذه الموسيقا؟ رجل يبدو لها أنه يحوى العالم وموسيقاه؟

عندما يتقابلان فى ذلك النهار بالقرية، ينسى كلّ منهما أن يسأل الآخر: "لك بيت؟"، وينشغلان باللعب وتبادل الهدايا، فيعزف لها موسيقاها الجديدة، وتؤدى له لعبته الجديدة، ثم

يستمران بالتجوال فى العالم بلا خطة مسبقة، وكلٌ منهما يلتقط
الأشياء التى يتركها له صاحبه، ويراه مصادفة على مدى بصره
داخل بحر، أو فوق جبل، فى نهاية شارع، أو على الجانب
الآخر من اليوم، فيطمئن أن صاحبه ما زال يذكره، وما زال
فى العالم سيرك، فى العالم موسيقا.

عالم لعوب يشاغب المارة

استيقظ العالم وفى رأسه أفكار جديدة للعب.

مراوغة هى كلمة "العالم"، ولعوب، فالعالم الذى يستيقظ هنا، يراوغه عالم آخر فى مكان ما يستعد للنوم، والاثنان يسمعان صوت عالم ثالث يترنح تعبًا أو متعة، وبعيدًا عنهم أو ربما قريبًا منهم عالم يواصل اللعب.

العالم الذى يواصل اللعب، تغادره الآن شابة خرجت تبحث عن ثلاثة وعشرين يومًا عاشوا معها بأجمل ما يكون، ثم غادروها على أن يعودوا إليها، أو على الأقل يرسلوا إليها واحدًا منهم أو اثنين، لكنهم لم يفعلوا.

تصادف الشابة بيتًا خرج من العالم الذى استيقظ من نومه حالاً، ويخبرها أنه يبحث عن طفلة غادرته لتلعب مع أصحابها منذ ثلاثة أيام ولم تعد حتى الآن، يمشى البيت مع الشابة، وعندما يمران قريبًا من العالم الذى يستعد للنوم، تلمح الشابة شجرة توت أربعينية تغادره.

كان البيت يحتفظ بألعاب الطفلة فى حجرة خاصة لديه، وتحتفظ الشابة بعمرها فى عينيها، على هيئة نظرات من الحنين والحب للعالم، وفى قلبها على هيئة قصص، ودماء دافئة تسبح فيها أسماك صغيرة ملونة، يمكن رؤيتها أحيانًا وهى تتحرك بخفة تحت جلدها، أو أنها مرسومة فيه بطريقة تبدو بها كأنها تتحرك من مكان لآخر.

عندما جلس البيت مع الشابة قرب نافذة تطلّ منها موسيقا هادئة، فوجىء بأسماكها وسألها عنها، فلم تخبره إن كانت تتحرك تحت جلدها أم أنها مرسومة فيه، لكنها سترقص معه لو أنه أمسك بواحدة منها، ثم كشفت له ذراعها، وهزّته هزة واحدة، لتظهر فيه أسماك جديدة.

ينشغل البيت بمحاولة الإمساك بإحدى السمكات، التى تراوغه بحركتها الخفيفة، بينما تفكر الشابة فى شجرة التوت الأربعينية التى تتبعهما منذ أن مرّا قريبًا من العالم الذى كان يستعد للنوم، وتنتظرهما الآن فى منتصف الشارع قرب نافذة يطلّ منها ضوء هادئ.

رقصت الشابة مع البيت على صوت الموسيقا التى تطلّ من النافذة، رغم أنه لم يستطع الإمساك بواحدة من أسماكها، ثم مشيا يكملان بحثهما، هو عن طفلته، وهى عن الثلاثة وعشرين يومًا، الذين غادروا منذ قليل عالمًا يترنح متعة، ليبحثوا عن شابة عاشوا معها بأجمل ما يكون، وقبل أن يغادروها اتفقوا معها أن يعودوا إليها، أو على الأقل يرسلوا إليها واحدًا منهم أو اثنين، وقد أرسلوا إليها اثنين منهم بالفعل، لكنهما لم يجداها،

فعادا لزملائهما، وخرجوا جميعًا يبحثون عنها، ولأنهم كانوا جادين فى العثور عليها، تفرقوا كلٌ فى اتجاه، ليكون لديهم ثلاث وعشرون فرصة للعثور عليها.

كانت شجرة التوت الأربعينية كلما رأت طيورًا فى السماء، تتوقف عن ملاحقة الشابة والبيت، وتنادى الطيور: "معى توت"، فيهبطون إليها، ويأكلون من توتها، بينما تتطلع فى وجوههم بلهفة، كأنما تبحث بينهم عن أحد تعرفه، وقبل أن يغادروها تطلب منهم أن يخبروا عنها كل الطيور، وأن يهبطوا إليها كلما رأوها.

وكان البيت والشابة كلما رأيا شجرة التوت تفعل ذلك، توقفا ليتفرجا كيف أن كل الطيور تهبط إليها، ورغم ذلك لا ينتهى التوت منها، فى نفس الوقت كانت الشجرة تحرص على مسافة بينها وبين الشابة والبيت أثناء تتبعها لهما، لكنهما بعد أن شاهداها تطعم كل هذه الطيور، وبعد أن مشيا بها شوارع كثيرة ولم تتوقف عن تتبعهما، توقفا وأشارا إليها، وعندما وصلت إليهما فوجئ البيت بنفسه مرسومًا فى صدرها، وأحسّ بحنين غريب، فأخبرته أنها تتبعهما بسبب هذا الرسم، الذى رسمته طفلة مرت بها منذ يومين، ثم أشارت لمجموعة من الألعاب رسمتها الطفلة بجوار وجهه.

تحسس البيت وجهه والألعاب المرسومة فى صدر الشجرة، وهى تحدثه عن الطفلة بمحبة كبيرة، وتذكر أن لها ضحكة رائقة ذات ثلاث طبقات شفافة، لم تسمع مثل جمالها، رغم كل

ما سمعته فى حياتها، وعلى صدرها سلسلة فضيّة على شكل يومين مزدحمين بمشاعر حلوة.

"آه طفلتى"، تنهد البيت.

كانت شجرة التوت الأربعينية تبحث عن عصفورة لعوب، تركت عشها منذ أيام، وخرجت لتلعب فى مكان بعيد سمعت عنه من بعض أصدقائها، رغم أنها من المتوقع أن تبيض فى أى وقت، أخبرتهما الشجرة أنها تنظف العش كل يوم، وتضع فيه أجمل حبّات التوت، حتى إذا عادت العصفورة فى أى وقت وجدت شيئًا تأكله.

انضمت شجرة التوت للشابة والبيت، يمشون من عالم لآخر، وكلما انتهوا من عدة شوارع توقفوا قليلاً، وأخرج البيت ألعاب الطفلة ليلعب بها مع الشابة وأسماكها العجيبة، بينما تنادى الشجرة للطيور: "معى توت".

فى واحدة من المرات التى يحاول البيت أن يمسك بإحدى سمكات الشابة، يسمعان صوت شاب يأتى من خلفهما: "أستطيع الإمساك بقاربِك"، يلتفتان إليه، بينما يقترب ويلمس الذراع المكشوف بإصبعه، فتتجمع الأسماك ليداعبها قليلاً، قبل أن ينظر فى عينى الشابة التى تقول له: "ليس معى قارب"، فيشير لقارب صغير يسبح بين أسماكها: "هناك، قارب صغير بشراع من قماش"، لكنها لا تراه، وحسب ما تعرف لا يوجد هناك غير أسماك، تنظر لعينيه ثانية، فيمسك بذراعها ويهزّه كأنما يبعد الأسماك عن القارب: "حالاً تعرفين"، ثم ينظر فى عينيها عميقًا قبل أن يقفز للقارب، ويجد فيه قطعة من ملابسها، يلتقطها

ويلوح لها بها، فتعرف أنها قطعتها المفضلة، التى كانت ترتديها فى أول مرة قابلت فيها الثلاثة والعشرين يومًا، يربط الشاب قطعتها المفضلة حول رأسه، ويبدأ التجديف مسافرًا فيها، فتسمع ضربات مجدافيه فى دمها حتى بعد أن يختفى.

العصفورة اللعوب التى غادرت شجرة التوت الأربعينية، كانت قد فوجئت أثناء عودتها إليها، بحركة البيض داخلها، وأدركت أنها لا بد أن تضع بيضها حالاً، ولأنها كانت ما زالت بعيدة عن شجرتها وعشها، بحثت فى الأشجار القريبة عن عش فارغ ولم تجد، فحطت على الأرض، ورأت عشا ملقى بجوار جدول ماء صغير، أسرعت إليه ووضعت فيه ست بيضات، صارت بهن أمًا لأول مرة.

الطفلة التى رسمت البيت ومجموعة الألعاب فى صدر شجرة التوت، كانت ترسمهم فى كل أشجار التوت الأربعينية التى تصادفها، وحتى لا تكون وحيدة فى العالم، علمها القمر لعبته الأثيرة: "كيف تمشى مع الجميع فى وقت واحد"، وهى اللعبة التى لم يكن أحد يستطيعها غيره، وكثيرًا ما كانت تضحكه، عندما ينظر لنفسه، ويجد أنه يمشى مع الكثيرين فى وقت واحد، رغم أن كلاً منهم يمشى فى اتجاه غير الآخر، وعندما علمته الطفلة كيف يطفو على الماء وأوراق الشجر، تمادى القمر فى لعبه معها، وعلمها كيف يمكنها أن تمشى مع الجميع وفى نفس الوقت تمشى منفردة.

بعد أن تفقس البيضات الست، وتطير العصفورة بأطفالها

لأول مرة، تمر بهم فوق قارب صغير يتحرك به شاب، يربط حول رأسه القطعة المفضلة من ملابس شابة تسبح الأسماك تحت جلدها، أو أنها مرسومة فيه بطريقة تبدو معها كأنها تتحرك من مكان لآخر، لا أحد يعرف، فهى لم تخبر أحدًا عن حقيقة ذلك، كما لو أنها نفسها لا تعرف، هذه الشابة تجلس كثيرًا تراقب أسماكها، وتسمع ضربات مجدافى الشاب فى دمها طوال الوقت، وتنتظر أن يظهر بقاربه من بين أسماكها تلك، وعندما يمر الوقت، وتفكر أنه لن يظهر، يفاجئها الشاب ويأتى من خلفها، مثلما تعرّف عليها أول مرة، ويمد يده بخفة ليلتقط واحدة من أسماكها الملونة، فتشهق وتحضنه بتلقائية، وبينما يعيد إليها سمكتها وهو يُدخلها برفق فى قلبها، تسمع هى ضربات مجدافيه فى دمها.

بدون أن يحدث ذلك فى مكان أو وقت مميزين، يعترف البيت للشابة وشجرة التوت، أن الطفلة التى يبحث عنها لم تعش معه أبدًا، ولم يكن لديه طفلة فى أى وقت، لكنه يشعر بها، يعرف أن هناك طفلة، وأنها تفعل لأجله شيئًا ما، وقد عرفه عندما صادف شجرة التوت: "ترسمنى"، قالها البيت متأثرًا وسعيدًا بالطفلة التى ترسمه دون أن تراه.

القمر سيتوقف مرات كثيرة ليتفرج على نفسه ويضحك، لأنه يمشى فى وقت واحد مع ثلاثة وعشرين يومًا، رغم أن كلاً منهم يمشى فى اتجاه مختلف، ويزداد ضحكه عندما يرى أنه أيضًا يمشى فى مكان بعيد عنهم مع الشابة التى علمته كيف يطفو على الماء وأوراق الشجر، لكن كيف يكون ضحك القمر،

ولأى مدى يكون قد وصل فى لعبته، إذا كان مع هذا كله، يمكنه أيضًا أن يمشى منفردًا؟

يواصل القمر ألعابه ويضحك، بينما فى مكان ما يستيقظ عالم من نومه، وفى مكان آخر يستعد عالم للنوم، والاثنان يسمعان صوت عالم يترنح تعبًا أو متعة، وقريبًا من ذلك أو بعيدًا عنه عالم يواصل اللعب، يراوغهم جميعًا عوالم أخرى لا تنتهى، يلاعبون بعضهم بعضًا، وكلٌ منهم معه أفكار جديدة للعب.



حبًا فى اللعب والزغب والشوارع المسحورة

فى الشارع، وكل ليلة يصلب ابنته على اللوح الخشبى، يقف على مسافة أمتار قليلة منها، ويطلب أن يتطوع واحد من جمهوره، ويغمّى عينيه بشريط قماش قديم قطعه من ثوبها، ثم يسحب خناجره واحدًا بعد الآخر من حزام حول وسطه، ويصوّبها تجاهها، فلا يصدق أحد أنه لا يريد قتلها، ولا يعرف أحد أن صوت انغراس سن الخناجر فى الخشب على حواف جسدها هو أحب الأصوات لقلبه.

بيتهما الصغير لعبة مليئة بألعاب يدوية بدائية، تم تجهيزها لقتله أو قتلها أو قتلهما معًا، لكنهما ومنذ سنوات طويلة ما زالا قادرين على النجاة واللعب.

يتلمّس جسد ابنته بعينيه كل يوم ليعرف كل جديد فيه، يدحرج قلبه خلفها ليعرف كل إحساس يدخلها أو يغادرها، يصاحب الأفكار التى تدور فى رأسها، يعدّ الشعرات التى قصّتها اليوم من رأسها، أو نزعتها من جسدها، والزغب الذى

نبت فيها، حتى يشعرها تمامًا عندما يصلبها للوح الخشبى، ويصوّب خناجره على حواف جسدها.

وحتى يكون موتها المحتمل سريعًا إذا ما أصابها، فإنه يشحذ خناجره كل يوم، بينما تتحرك حوله فى البيت مثل لعبة لطيفة قادرة بجسدها الخفيف على أن تتفادى الهواء، ومن وقت لآخر تبتسم له وللخناجر، وتضيف لمسات ناعمة لألعابهما القاتلة، فتلوّن لوح الخشب، أو تبتكر ألوانًا لوجهها، ورقصات لضحكتها، يمكنها أن تفعل أى شىء إلا أن تساعده فى شحذ الخناجر، التى يتعمد أن يجرح نفسه بها فى كل مكان بجسده، حتى يرضيها ولا تحن لدم ابنته.

اللوح الخشبى يحبها، يُحب جسدها، ويحب فى نفسه الجزء الذى يحدده جسدها، يعرفها منذ كانت طفلة تكبر فى حضنه، يشمّها ويضمّها إليه، ويتلقى الخناجر بدلاً منها كل ليلة، وعندما يعودون للبيت يظل ساهرًا على جسده يداويه من طعنات الخناجر حتى لا يستبدله أبوها بغيره، يفكر الخشب أنه الأحق بها، وبأن تموت فى حضنه، لن يتخلى عنها للنهاية: سيكون تابوتًا لها أو قاربًا، أو يظل يتلقى عنها الخناجر لما لا نهاية، هى طفلته، حبيبته، صديقته، وشريكته فى اللعب.

الخناجر يحبونها؟ يريدون قتلها؟ ينطلقون باتجاهها كل ليلة يريدون قتلها، لكنهم يغيّرون رأيهم فى أقل من آخر لحظة، ويستقرون فى الخشب على حواف جسدها، فيشمون رائحتها، ويسمعون قلبها، الخناجر يحبون قلبها ورائحتها، ويحبون أن

تتكرر اللحظة التى يكونون فيها بجوارها كل ليلة، لذا يجددون أنفسهم كل يوم، حتى لا يستبدلهم أبوها! ويحاولون إرضاء أنفسهم بدمه، رغم أن حنينهم لدمها يقتلهم كل ليلة، كما يمنعون أنفسهم من التسلل إليها أثناء نومها ليتذوقوها، حتى إنهم يراقبون بعضهم بعضًا خوف أن ينهار أحدهم ويفعلها، يفكر الخناجر أنهم الأحق بالابنة، وبأن تموت بينهم، فهم من يغيّر رأيه كل ليلة ويتراجع عن قتلها، ويغرس نفسه فى الخشب كل ليلة رغم أن جسدها الحبيب فى متناولهم، ويرضى بدم أبيها رغم أن دمها المحبوب بالقرب منهم، كل تلك السنوات ولم يجرحها أحدهم جرحًا واحدًا، لن يتخلوا عنها، سيعيشون بجوار جسدها، يسمعون قلبه ويشمون رائحته، هى طفلتهم، حبيبتهم، صديقتهم، وشريكتهم فى اللعب.

العالم يحب هذه اللعبة، هى لعبته المفضلة، وكل ليلة يتبع الأب وابنته والخناجر ولوح الخشب حتى يصلون لشارع جانبى أو خلفى حيث يفضلون أن يلعبوا، فيملؤه لهم بالمتفرجين، ويضع فيه مقهى مليئًا بزبائن يجلس معظمهم فى الشارع، يفكر العالم أنها اللعبة الأقدم والأكثر إثارة، وفى كل ليلة يدق قلبه بنفس اللهفة والشغف كأنه يتفرج عليها لأول مرة، وتتملكه الرغبة أحيانًا أن يثقب أحد الخناجر جسد الابنة ليرى ما يحدث، لكنه يفكر أن لو حدث هذا، فماذا سيفعل الليلة القادمة؟ لن تكون هناك "لعبته المفضلة"، لذا كان العالم يشهق مع كل خنجر يتجه للابنة، ومعه يشهق اللوح الخشبى والخناجر، وعندما يسمع

الأب وابنته تلك الشهقات، تُطيِّرهما نشوة اللعب، فتفرد الابنة شعرها حولها، ويخرج الأب خناجره الإضافية، ويصوبها تجاهها، فتمر بين خصلاتها وتنغرس فى الخشب، دون أن تقتل منها شعرة واحدة، فى أحيان أخرى كانت النشوة تُطيِّر المتفرجين، فيطلبون من الرجل وابنته أن يوقفا قلبيهما عن العمل حتى لا يتبادلا الإحساس ويعرف مكانها على لوح الخشب، فيتمادى الأب وابنته ويضعان قلبيهما على منضدة أمام المتفرجين أو فى جانب من الشارع حتى ينهيا اللعبة، وفى مرات كثيرة كان العالم يتدخل ويطلب أن يحتفظ بالقلبين معه، وعندها يظل حائرًا بين النظر فيهما ومتابعة اللعبة، فيتابع اللعبة ويكتفى أن يعرف شيئًا واحدًا من أحد القلبين كل مرة، لم تكن حيرة العالم تنتهى عند هذا الحد، كان أيضًا يقاوم إغراء الهروب بالقلبين أو أحدهما، ويكتفى فى النهاية أن يسرق شيئًا واحدًا من أحدهما، ورغم أن الأب وابنته يعرفان أن العالم يسرق شيئًا من قلبيهما كل مرة، لم يحدث ورفضا أن يحتفظ بهما، ربما لأنهما يُقدّران كونه معجبًا كبيرًا بهما، وأن ما يأخذه أشياءً بسيطة يمكن الاستغناء عنها بسهولة، يعرفان أنه يحبهما ويحتفظ بهذه الأشياء كتذكار منهما، كما أنه فى أحيان كثيرة يضع فى قلبيهما أشياءً من عنده.

العالم يحبهما، ويفكر أنه الأحق بهما، لا يفوّت ليلة إلا ويتفرج عليهما، هما صديقاه وشريكاه فى اللعب.

ولأنهم يلعبون نفس اللعبة كل ليلة: الابنة والأب، ولوح الخشب والخناجر، كان الأمر يختلط عليهم أحيانًا، فيشعر الأب برغبة حقيقية فى إصابة ابنته بخناجره، ويصوّبها تجاهها بقوة إضافية، وبشكل متسارع، وهو يطلق صرخات القتل، بينما تتعالى دقات قلب الابنة بشكل لا يفهمه قلب أبيها، كأنها تريد أن تُفقده إحساسه بجسدها على الخشب حتى يخطئ ويصيبها، وتبدو الخناجر باندفاعها المجنون وصراخها المرعب كأنها مصممة على قتل الابنة، فى نفس الوقت يتحرك اللوح الخشبى بها، ويغيّر مكانه قليلاً ليهيئ جسدها للخناجر، يختلط الأمر عليهم جميعًا ويرتبكون، فلا يعرفون إن كانوا فى لعبة أم فى قتل، ويتساءل كل منهم مع قلبه: إذا كنت فى لعبة فلماذا يبدو الأمر بهذه الجدية؟! وإذا كان الأمر بهذه الجدية فلماذا لم يحدث ولو مرة أن ثقب خنجر جسد الابنة؟!

العالم أيضًا يرتبك عندما يدخلون هذه الحالة، ولا يعرف إن كان يريد لأحد الخناجر أن يقتل الابنة، أم يريد أن يتدخل ليوقف اللعب، فيظل حائرًا بين الرغبتين، وتظل الخناجر المجنونة تروح وتجئ بين يد الأب وجسد الابنة حتى تفقد أنفاسها، وينزف لوح الخشب، ويساقط الأب وابنته تعبًا، فيفك العالم حزام الأب من خصره ويربطه لنفسه، يثبّت فيه الخناجر، يحمل اللوح الخشبى على ظهره، ثم يسند الأب والابنة بذراعيه ويعيدهم لبيتهم.

فى الليلة التالية يكونون صافين تمامًا، وقد نسوا جنون ورعب الليلة الماضية، فيؤدون ألعابهم الليلة بأروع ما يكون، لذا ينتظرهم جمهورهم بشغف كبير، هذا الشغف الكبير الذى يشعر به العالم تجاههم دومًا، إلا أنه فى تلك الليالى الصافية يشعر بشىء إضافى.

طلب الجمهور من الأب وابنته أن يضعا قلبيهما على المنضدة قبل أن يبدأا اللعب، فتدخل العالم واحتفظ بهما معه، ولم يفكر هذه المرة أن يسرق منهما أو يضيف إليهما شيئًا، وجلس بجوار شجرة صغيرة يتابع اللعبة، ويفكر أنه يستحق أمنيته المحبوبة فى أن يقضى ليلة مع القلبين، وإن كان فى الحياة سبب ليبيت هذان القلبان خارج الأب والابنة، فليس أجمل من حبه لهما.

انتهى الأب والابنة من اللعب واستعادا قلبيهما من العالم، وصحبا الخناجر واللوح الخشبى واتجهوا لبيتهم، وطوال الشوارع كان العالم يتبعهم ويشعرون به، حتى وصلوا لشارع يجول فيه سحر ما، فتوقفوا ينتظرون العالم حتى وصل إليهم، كان القمر قريبًا من الشارع، وبدا كما لو أنه جلس يتفرج عليه، بينما نجمات كثيرة تساقط، فيعلق بعضها بشعر الابنة، ويطفو البعض الآخر على خطوط المياه الرقيقة التى تجرى فى الشارع، ابتسم الأب للعالم

:لم تسرق شيئًا من قلبى الليلة.

:ولم أضع فيه شيئًا.

رأت الابنة فى عينى العالم رغبته المحبوبة، وكيف أنه مستعد لأن يتنازل عن أى شىء الآن لأجلها، فأخرجت قلبها
:يمكنك أن تحتفظ بقلبى معك الليلة.

نظر العالم فى عينيها بحبه الكبير، والتقط قلبها برفق، وقبل أن يتكلم مد له الأب يده بقلبه
:وقلبى أيضًا لو أحببت.

نزل القمر قريبًا من الشارع، تساقطت النجمات بغزارة، وقال العالم للأب وابنته
:أُطلبا منى أى شىء.

انشغلت الابنة بتخليص شعرها من النجمات، وقال الأب وهو يسند لوح الخشب على ظهره
:فقط، أن تعيدهما لنا قبل أن نبدأ اللعب غدًا.

لم يعرف العالم كيف يفرح، فساعده الشارع وأخرج له مهرجانًا كبيرًا، مليئًا بالموسيقا، البشر، الأغنيات، والألوان، رأى العالم حوله كائنات مفرحة تخرج بآلاتها الموسيقية ورقصاتها من النوافذ والجدران، وتقفز للشارع من النجمات القريبة، وبدا ما يحدث كما لو أنه مهرجان فى شارع مسحور، وفكر العالم أن الابنة وأبوها جاءا به لهذا الشارع ليمنحاه هذه السعادة، دخل العالم المهرجان يرقص ويغنى وهو يضم القلبين لصدره، ويتنقل بين الموسيقا والألوان والكائنات، بينما القمر القريب يضحك ويخبط رأسه بيده، ويقول لنفسه إن هذا الشارع

المسحور ملىء بالحكايات العجيبة، ولا تمر ليلة إلا ويرى فيه حكاية، ثم صرخ كمجنون وألقى بنفسه للمهرجان.

وعند نهاية الشارع فى مسافة بين حلم وسحر، كان الأب وابنته والخناجر واللوح الخشبى يتجهون لبيتهم اللعبة.

العشّ

العصفورة التى فى السماء، أحسّت فجأة أنها ستضع بيضها حالاً، ولأنها كانت ما زالت بعيدة عن شجرتها وعشّها، بحثت عن عش فارغ بين الأشجار القريبة، فوجدتها كلها مشغولة، ولم يكن لديها الوقت لتبنى عشًا جديدًا، كما لا يمكنها أن تضع بيضها هكذا فى الطريق.

لم تتحمل العصفورة أن تطير ببيضها رفّة جناح أخرى، فحطّت على الأرض قريبًا من جدول ماء صغير، وجدت على شاطئه عشًا فارغًا وكبيرًا نوعًا ما، فأسرعت إليه، ووضعت فيه بيضها.

ست بيضات، صارت بهن العصفورة أمًا لأول مرة، رتبتهن بجوار بعضهن بعضًا، ونظرت فى العش لترى إن كان من الممكن أن تعدّل فيه شيئًا، فوجدته نظيفًا مريحًا، وتأكدت من ذلك عندما مررت جناحها عليه تتحسسه برفق قبل أن تضم بيضها لحضنها، فى الوقت الذى كانت الطيور المارة تتوقف

لتلقى عليها من بعيد نظرة غريبة وتمضى، وفكرت العصفورة بأنهم ربما ينظرون إليها تلك النظرة، لأنها تضع عشّها على الأرض، "لا يهم"، قالت لنفسها، ونامت مع بيضها.

العشّ الذى دخلته العصفورة ووضعت فيه بيضها، لم يكن إلا أفعى معروفة تعيش حول جدول المـــاء، جـــاءت تتـــدفأ بالغروب، والتفت حول نفسها بهذا الشكل الذى جعل العصفورة الملهوفة تظنها عشاً، ولا تنتبه للونها ولا رائحتها، وقد حرصت الأفعى ألا تتحرك عندما رأت العصفورة تقترب منها، وتقفـــز داخلها، وتبيض ثم تنام مع بيضها، ظلت الأفعى هادئة، وفكرت أنه من الأفضل أن تنتظر حتى يفقس البيض.

العصفورة تقضى أغلب وقتها مع بيضها فى العشّ، غير مبالية بالنظرة الغريبة التى تراها فى عيون الآخرين، وعندما تخرج من العشّ قليلاً، لتشرب أو تأكل، تنظر لها الطيور نفس النظرة، ولا يجرؤ أىّ منهم على الاقتراب منها، فلا بد أنها غريبة الأطوار حتى تنام كل يوم فى حضن الأفعى، هكذا يفكرون، بعد أن اعتقدوا فى البداية أنها بلهاء حتى تقترب منها، لكنهم بعد أن رأوها تنام فى حضنها، فكروا أنها عصفورة غريبة الأطوار.

الأفعى تجوع كل يوم، تعطش كل يوم، ولا تتحرك من مكانها، والعصفورة كل ليلة قبل أن تنام تمرر جناحها على العشّ الذى أحبته، وتفكر أن النظرة الغريبة فى عيون الطيور سببها أنهم يريدون الحصول على عشها، ويُحيّرها أن أحدهم لم

يهتم به وقتما كان ملقى أمامهم طوال الوقت، فقط عندما سكنته صار مرغوبًا؟! قررت أنهم مهما آلموها بنظراتهم، فلن تغادر العش قبل أن يستطيع أطفالها الطيران.

يفقس البيض، ويخرج أطفال العصفورة للعالم بلونهم الوردى الجميل، ورائحتهم الجديدة، ويملئون العش بصياحهم وطلباتهم التى لا تنتهى بخصوص الماء والطعام، فتظل أمهم تروح وتجىء طوال النهار بين السماء والأفعى، تحصل من السماء على الطعام، وتوزعه على أطفالها فى حضن الأفعى، حتى إذا انتهى النهار، انهارت ونامت معهم.

الأفعى ما زالت تجوع كل يوم، تعطش كل يوم، وتنتظر حتى تنام العصفورة وأطفالها، فتمد رأسها بهدوء حتى لا توقظهم، وتبحث حولها عن شىء تأكله فلا تجد، تمد لسانها لجدول الماء بجوارها فلا تطوله، وتشعر بالأطفال يكبرون فى حضنها يومًا بعد يوم، وبالزغب الخفيف ينبت فيهم، ويحرك فيها مشاعر قوية، فتجوع من جديد كل يوم، وتعطش من جديد كل يوم، لكنها تفكر أنه من الأفضل أن تنتظر حتى يكبر الأطفال قليلاً.

يكبر الأطفال قليلاً، ويلعبون فى العش، ثم يتقافزون خارجه، فتراقبهم الأفعى بطرف عينها حتى لا يلتقطهم أحد المارة، وعندما يبتعدون عنها قليلاً، تلتقطهم بفمها وتعيدهم للعش، فيندهشون كيف يمكن للعش أن يعيدهم للعش!؟ ويضحكون، ثم يلاعبونه من جديد بأن يبتعدوا عنه، حتى

يلتقطهم ويعيدهم إليه مرة بعد أخرى، فتعلو ضحكاتهم، كانوا يفعلون هذا طوال الوقت التى تذهب فيه أمهم للسماء لتحصل على الطعام، وعندما تعود يلتفون حولها بلهفة، ويخبرونها بما يفعله العش معهم، لكنها تنظر إليهم بدهشة ولا تفهم ما يقولون، فما يظنونه كلامًا ليس إلا تمتمات غير مفهومة مثل التى يقولها كل الأطفال فى عمرهم، فقط كانت تفهم أنهم يتحدثون عن العش، فتربت أجنحتهم، وتهزّ رأسها: "أنا أيضًا سعيدة هنا"، وتمرر جناحها على العش بحب، وعندما تتقابل عينيها بعينى الأفعى، لا تحول أىّ منهما عينيها عن الأخرى، حتى تناما معًا.

كبر الأطفال أكثر من "قليلاً"، وما زال بذاكرتهم شىء غريب عن العش الذى كان حتى وقت قريب يعيدهم إليه بنفسه كلما ابتعدوا عنه، وما زالوا يحكون لأمهم هذه الحكاية القديمة، فتقول لهم إن لها أيضًا مع العش حكاية قديمة، ولأنها حكتها لهم مرات كثيرة، فهم يضحكون ويشتركون جميعًا فى حكيها، غير أنهم يضيفون إليها شيئًا جديدًا فى كل مرة، المقطع الذى لا يتغير هو النهاية، حيث تؤكد لهم أمهم أن هذا العش الملقى على الأرض أنقذ حياتها وحياتهم.

رغم أن أيًا من الطيور لم يقترب من العصفورة حتى الآن، إلا أنهم توقفوا عن أن ينظروا إليها تلك النظرة الغريبة، ربما نسوا الأفعى، أو أن العصفورة نسيت الشىء الغريب فى نظرتهم.

فى الليلة التى قررت فيها العصفورة، مررت جناحها على العش كثيرًا بحب كبير، وجهزّت أطفالها ليطيروا معها فى الصباح الباكر، وتكمل بهم طريقها لعشها القديم فى شجرة توت أربعينية، قالت العصفورة للعش:"سنرحل فى الصباح، أنا أحبك"، نظرت الأفعى بطرف عينها للعصفورة، فالتقت أعينهما، ولم تحول أىّ منهما عينيها عن الأخرى حتى نامتا.

فى الصباح، نظفت العصفورة عشها، ومررت جناحها عليه مرات أكثر، وبحب أكبر من الليلة الماضية، كما مرر أطفالها أجنحتهم عليه وتمسّحوا به لوقت طويل، فتحركت فى الأفعى مشاعر قوية، ونظرت إليهم بطرف عينها، والتقت عيناها بعينى الأم للحظات، ثم لحظات.

طارت العصفورة وأطفالها.

فى السماء، كانوا يلتفتون بين لحظة وأخرى للعشّ، فيتذكر الأطفال كيف كان يعيدهم إليه كلما ابتعدوا عنه، وتفكر أمهم أنها ستعود يومًا ما لتضع فيه أطفالاً آخرين، بينما العش يراقبهم وهم يرتفعون، ويرتفعون، حتى اختفوا بين السحاب، عندها تحركت فى الأفعى مشاعر قوية، وأحسّت بقطرات مطر رقيقة تبلل جسمها.

:أحب طريقتكَ فى النظر إلىّ.
:أحب طريقتكِ فى فعل الأشياء.

يسمع دبيب الحياة وهى تأتيه كل يوم لتطرق نافذته بسرعة، أو تفتحها بقوة، وتنطلق.

اتفقت معه أن تخبره بأحد أسرارها، فى كل مرة يمسك بها عند نافذته، لذا ينتظرها متأهبًا كل صباح، لكنها تفاجئه بأن تأتى ومعها شىء يستحوذ على جزء من عقله ومشاعره، أو على الأقل يشتت هذا الجزء، فلا يستطيع الإمساك بها.

هذا الصباح، جاءته ومعها بائعة متجولة تبيع الأفكار، لها صوت متعدد الألوان تنادى به لبضاعتها، فكانت تغيّر خطواتها مع إيقاع صوت البائعة وألوانه، لتصنع مزيجًا غريبًا يُسرّب شيئًا إليه فى مكانه خلف النافذة، ويجعل قلبه يشرد لثوان قليلة، لم تكن الحياة تحتاج منهن غير ثانية واحدة، استعملت منها جزءًا قفزت به للنافذة وطرقتها مرتين بقوة، وجزءًا آخر استعملته فى الهرب بعيدًا، وما تبقى أعطته للبائعة لتهرب به

معها، حتى إنه عندما فتح النافذة بأسرع ما يمكنه، رآهما عند نهاية الشارع، والحياة تبتسم له مثلما تفعل كل مرة قبل أن تختفى بين النوافذ، بينما تباطأت البائعة قليلاً، كأنها تعرف أنه سيناديها، أو أنها تغريه بذلك، وفى إحدى الحالتين، عادت إليه وتوقفت على مسافة منه، بحيث يشعر بحركة بضاعتها فى سلة الخوص التى تضعها على رأسها، نظر إليها، ثم أشار بعينيه لنهاية الشارع يسألها عن الحياة

:تعرفينها؟

فى صوتها ثلاثة ألوان عندما قالت

:أبيع الأفكار لا الإجابات، اسأل عن بضاعتى فقط.

أطلّت فكرة من حافة السلة ونظرت إليه، فتحركت فى قلبه بعض أفكاره

:أفكارك جديدة؟

:كلها جديدة، ولا أدع أحدًا يُقلّب فيها أو يلمسها.

وسحبت من سلتها فكرة لامعة، ظلت ترفرف فى يدها وفى الهواء بعد أن رمتها إليه، فخرج بنصف جسده من النافذة، وأمسكها ليعرف من أول نظرة أنه لم ير شيئًا مثلها، وعندما التفت ثانية للبائعة، وجدها عند نهاية الشارع تبتسم له، وتسحب طرف ثوبها قبل أن تختفى بين النوافذ.

"فكرة جديدة"، هذا ما أرادت أن تمنحه له هذا الصباح؟

هكذا تفعل الحياة معه كل يوم: تلاعبه، وتمنحه شيئًا جديدًا.
لا يعتقد أنها تحبه، ولأنها فيما يبدو تريد أن يكون إحساسه هذا
أكثر من اعتقاد، فإنها وفى أوقات كثيرة تسهر معه فى مقهى،
شارع، قارب، أو مكان يشتركان فى اختراعه، فعندما يقترح
أحدهما مكانا ليس من المحتمل وجوده، يرد الآخر بثقة:
نخترعه، هى واحدة من ألعابهما المحبوبة: يخترعان الأشياء
ويلعبانها.

كانت تقدمه لأصدقائها، وتصحبه لبيوتهم، أو شوارعهم إن
لم يكن لهم بيت، أو لبيتها عندما يطلب منها وتكون فى مزاج
رائق، أو عندما تطلب منه، ودائمًا سيكون فى مزاجٍ رائق
ليذهب معها، وهناك لا يكون متطلبًا، سيحب أى شىء تعدّه أو
لا تعدّه، فقط يطلب منها أن تلمس كل الأشياء التى يستعملانها
فى سهرتهما، يحب السهر معها فى بيتها، لأنه يعيشِ فى
رائحتها طوال الوقت، تحب أن تسمعه يقول لها إنها تذكّره
بامرأة لها القدرة على أن تطهو الحياة وتزركش العالم ولها
ثديان رائعان، وعندما تسأله: "تشبهنى فى كل شىء؟"، يحب أن
يجيبها "تشبهك فى كل شىء"، لكنه لا يفعل، ويفكر أن لكل
منهما فى النهاية شيئًا يخصها، وأن كلاً منهما تحب أن يكون
لها شىء يخصها.

يفكر، كيف وهو يسهر معها كل هذه السهرات، ويتحدثان
فى كل شىء، لم يعرف حتى الآن سرًا من أسرارها، ولم يتمكن
مرة من الإمساك بها عند نافذته!! رغم أنه يعرف أنها ستأتيه

كل صباح، ويسمع دبيبها قادمة، حتى وإن كانت تأتى في كل مرة ومعها مفاجأة جديدة!! كيف تستطيع في كل مرة أن تشتت قلبه لثوان قليلة وتكسب رهانها معه؟! أحيانا كانت تقطع كلامها أو كلامه وتسأله: "كيف لم تستطع حتى الآن أن تحصل منى على سر واحد؟!"، ثم تصمت وتنظر فيه بعيدًا، فيحتار إن كانت تعاتبه أم تستفزه ليحاول معها أكثر، لأنها تتمنى أن يمنحها الفرصة لتعطيه بعض أسرارها، هل يبدو سؤالها كأنه: "كيف حتى الآن لم تعرفنى كفاية لتحصل على أسرارى؟!" أم أنها تقصد سؤالاً آخر لم يعرفه بعد؟

لكنه لم يتوقع أن الإيقاع بها يمكن أن يكون بهذه السهولة، ولولا أنه يعرف أنها تلعب بجديّة لاعتقد أنها أوقعت نفسها فى الفخ الذى وضعه لها عند نافذته.

فى تلك الليلة بعد أن عاد من سهرته معها فى بيتها، جلس عند نافذته يفكر فيها، وكيف كانت مليئة بتفاصيل صغيرة جدًا تتفلت منها بسهولة، وفى نفس الوقت تبدو كما لو أنها تضعها فى يده واحدة بواحدة، وليس عليه الآن إلا أن ينظر فيها، يفهمها، ويراجع فى ذاكرته تفاصيلاً أخرى تخصها: تعليقاتها التلقائية، لفتاتها البسيطة، متى وكيف تبتسم أو تضحك، ما يضىء عينيها وما يطفئهما، أكثر الكلمات تكرارًا بين كلامها، الأشياء الصغيرة التى تهزّ مشاعرها، كيف تعبر عن مشاعرها، علاقتها الخاصة بالعالم، كيف تنظر للأشياء وتلمسها وتتكلم معها وعنها، تذكّر جملتها الأثيرة "لا يهمنى لون عينيك، يهمنى

كيف تنظر إلىّ، لا يهمنى أن تقول لى أحبك، يهمنى كيف تقولها"، ضرب رأسه بيده: "كيف لم أنتبه"، فقط أن يرى تفاصيلها ويشعرها، كان كافيًا لأن يتوصل لفخاخ عديدة تمكنه من الإيقاع بها، وقد استعمل أحدها هذا الصباح: أمسك بأحد العصافير التى تسكن شجرة قريبة من نافذته، قيّد جناحيه، ووضعه فى انتظارها على حافة النافذة، وعندما جاءت ورأت العصفور يحاول الطيران ولا يستطيع، نسيت أن تستعمل المفاجأة التى معها، واندفعت إليه تفك قيده، فانفتحت النافذة فجأة، لتخسر أول رهان لها، ويحصل العصفور على حريته.

تكررت فخاخه لها، وحصل على الكثير من أسرارها، فى أحيان كثيرة كانت تعرف أنها مندفعة تجاه فخ، لكنها لم تكن تستطيع أن تتجاهل طفلاً تائهًا أو عصفورًا مقيّدًا أو قطة جائعة، أو غير ذلك من الفخاخ التى كان ينصبها ويعرف أنها لا يمكن أن تتجاهلها، فقط كانت تحاول أن تكون سريعة، لكنها لم تكن بالسرعة الكافية أغلب المرات، هل كانت مهتمة فعلاً بالهرب أم بالوقوع فى الفخ؟

عندما صار الإمساك بها أسهل من الإمساك بعصفور أو أىّ شىء يستعمله فى فخ لها، بدأ يشعر بالملل، لم يعد الأمر مثيرًا، واكتشف أن ما يعرفه عنها فى سهرة بمقهى أو قارب أو شارع أو أى مكان يخترعانه، أكثر جمالاً مما تمنحه له عند النافذة، وأن أسرارها الحقيقية هى تفاصيلها الصغيرة التى يراها تمارسها بطبيعية فى كل شىء كل يوم، عرف ما قصدته

بسؤالها القديم "كيف لم تعرفنى كفاية لتحصل على أسرارى؟"، أن التعرف إليها هو سرها، وأن السر فى حد ذاته جثة هامدة لا حياة فيها، الحياة موجودة فى التفاصيل الكثيرة الحية التى تسبق هذه الجثة، المتعة ليست فى أن يعرف، ولكن كيف يعرف.

"لا يهمنى لون عينيك، يهمنى كيف تنظر إلىّ"، قالها وهو ينظر فى عينيها بأجمل ما يمكنه أن ينظر، فابتسمت بطريقتها التى يحبها.

لم يعد ينصب لها فخاخًا، ولا مهتمًا بمعرفة ما يمكن تسميته سرًا، يحب أن يسمع دبيبها كل صباح، وأن تلاعبه وتطرق نافذته أو تفتحها عليه، يحب المفاجأة التى ستأتى بها، والشىء الذى ستمنحه له كل يوم، يسهر معها، يتعرف على المزيد من تفاصيلها التى تمارسها بتلقائية مع كل شىء طوال الوقت، ويتمادى معها فى لعبتهما المحبوبة: يخترعان الأماكن التى ليس من المحتمل وجودها، أو يعيدان اختراعها إن كانت موجودة.

بدأت تقول له: "أحب طريقتكَ فى النظر إلىّ".

بدأ يقول لها: "أحب طريقتكِ فى فعل الأشياء".

الآن يمكنك أن تلعب معى

:الآن يمكنك أن تمشّط لى شعرى.

تقولها بعد أن تكون قد بدأت معه اللعبة منذ ساعة؟ ساعتين؟ منذ بداية الليل أو النهار؟ بداية حياتهما؟ أم منذ الوقت البعيد الذى جمعهما فى حياة سابقة؟

لعبتهما المفضلة، تراوغه طوال اليوم بألعاب قصيرة تنهيها بأن تقول له: "الآن يمكنك أن"، وتذكر شيئًا مثل "تقبّل لى عينى"، "تحضن لك صدرى"، أو أيًا من الألعاب اللانهائية بينهما، وكلما انتهت لعبة بدأت أخرى، حتى تمتلئ الدقائق، فالساعات، فاليوم، فالعمر كله باللعب.

هل تعرف ويعرف أنه بعد سنوات لن تكون كافية لألعابهما، سيضمها لحضنه، ويقول إن بإمكانها أن تفعل أىّ شىء إلا أن تتركه، ويرجوها ألا تنهى اللعبة؟ لكنها ستنهيها وتقول له: "الآن يمكننى مؤقتًا.. أن أودّع لى عينيك"، وتموت.

"الآن يمكنك أن تمشّط لى شعرى"، "الآن يمكنك أن تحضن لك صدرى"، تحب أن تقولها هكذا، وتضع كلمة "لى" أو "لك" قبل تمشيط الشعر، والحضن، وغيرهما من الألعاب، فتشعرها أكثر حنانًا وخصوصية بينهما، كما أن "لى" أو "لك" تجعل الألعاب أكثر لعبًا، وتربك الآخرين، فلا يعرفون من منهما يعطى الآخر القبلة والحضن وبقية الألعاب، أو يحصل عليها منه، أم أن كلاً منهما يحصل عليها من الآخر ويعطيها له فى نفس الوقت، أم أنهما يفعلان شيئًا لا يفهمه أحد؟! كان ارتباك الآخرين يزيد إحساسهما بمتعة اللعب.

بمشط شعر خشبى كبير يطاردها فى حجرات البيت، المطبخ، الحمام، والشرفة التى تتسع كلما تحركا فيها، تراوغه وهى تقفز من وسادة لأخرى، وتهرب بين المقاعد، وتتزلق على أسطح الأطباق بحركات بهلوانية، يبحث عنها ويتعمد ألا يعثر عليها عندما تختبىء للحظات فى الأكواب والأدراج، ثم تضحك وتخرج بسرعة قبل أن يمسك بها، وهى تعرف أنه سيدعها تهرب، يتبعها عندما تجرى أمامه على حد السكين، وتتنقل بسرعة بين صفحات الكتب، السطور، الكلمات، والحروف، وكلما أوشك أن يمسك بها هناك، ألقت على صدره جملة تعرف أنه يحبها، فينشغل بها بينما تهرب، قبل أن يتسلق خلفها جدران البيت وستائره، ثم يسبحان فى أنابيب المياه، وزجاجات عطرها، يتعلق مثلها بخيوط النور ويتنقلان بينها بخفة، يلاحقها وهى تندفع إلى المدفأة الصغيرة، ويقفز خلفها من النافذة لشاطئ

النهر، يجريانه حتى منبعه أو مصبه أيهما أبعد، ثم يكملان فى الغابة، ومشطها الخشبى ما زال بيده، فتلتفت إليه بين لحظة وأخرى لتضحك ضحكتها اللعوب مثل سيرك كامل، حتى تتوقف فى أى مكان بالحياة، وتضع يديها حول وسطها، وتقول بدلال اخترعته لنفسها: "أنا مستعدة.. الآن يمكنك أن تمشط لى شعرى".

فى نهاية كل عام تقصّ مسافات طويلة من شعرها الكريم، وتمنحه للنساء العجائز، فيصنعن منه ضفائر لأنفسهن، أو للعرائس الشابات، تهديه للعابرين والرحالة والمسافرين، وتوصيهم ألا يصنعوا منه حبلاً لمشنقة، أو قيدًا لأى كائن، فينفذون ما أوصتهم به، ويصنعون منه حبالاً يربطون بها الدلاء لجلب الماء من الآبار البعيدة، أو يستعملونها فى ألعاب السيرك وبناء البيوت والسفن والبلاد، فيشربون ماء مرويًا برائحتها، ويظل شيئًا منها عالقًا فى بيوتهم وبلادهم، مشاركًا فى ألعابهم، ومسافرًا مع سفنهم.

"جسدك صديقى".

عندما قالها لأول مرة، ضحكت ضحكتها التى تملأ عينيها دهشة عندما تسمع شيئًا يفاجئها، وللوهلة الأولى بدا ما قاله غريبًا، لكنها أحست بشىء ما مع نهاية ضحكتها، فضيّقت قليلاً الحافة الخارجية لعينها اليسرى، وهى تنظر بعيدًا مثلما تفعل عندما تفكر فى شىء تعرف أنه سيعجبها، تأملت ما قاله وهى تردد لنفسها: "جسدكِ صديقى.. جسدى أنا صديقك"، أعجبها أن

يكون جسدها صديقه، أحبت أن يكون صديقًا لجسدها، نظرت إليه وابتسمت، لم يبتسم، فقد كان جادًا فى صداقته مع جسدها، ويهمه أن تفهم ما يقصده، كان يعنى ما قاله تمامًا، وبشكل مادى، فجسدها بالفعل صديقه، ويعامله كأنه منفصل عنها، كأنها كائن، وجسدها كائنًا آخر، هو لا يعتبر جسدها مكانا للسعادة وفقط، وإنما كل الأماكن، جسدها كل أماكنه، يتكلم ويتفاهم معه، يعرف خطوطه، دوائره، كل تجعيدة تظهر أو تختفى، أسباب حزنه، سعادته، مواضع ضعفه، قوته، عيوبه، أجمل وأسوأ ما فيه، ويحب ذلك كله، يخاف عليه حتى أن يصطدم بمقعد أو منضدة، أو هواءً قويًا، يعيش معها، وكلما تقدما فى العمر، يزداد الحب، وتصير صداقته بجسدها أكثر عمقًا.

إلى أىّ مدى يحب عرقها؟ لما لا نهايَة؟

يحب أن يمسّه عرقُها، يُعجبه الالتصاق الخفيف الذى يُحدثه لجسديهما معًا، والصوت الخافت الذى يصدر عنهما بسببه عند انفصالهما، فيبدو كلٌ منهما كأنه لا يريد أن ينفصل عن شريكه، أو أنه يقبّله بعمق قبل أن يعود إليه ثانية، لم ير فيها قطرة عرق متجمعة أبدًا، فقط هذا البلل الرطب الخفيف، الذى كان فى نفس الوقت يشعر تحته بدفء جسدها، كيف يمكن أن يشعر بالبرد والدفء معًا؟ كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ يحب أن يتذوّق عرقها، يفتش عنه بلسانه فى أماكنها القريبة والبعيدة، يحب جسدها، جسدها صديقه.

قال لها إن المرأة التى يحبها، هى التى يستطيع أن ينام فى وجودها، فهذا يعنى أنه يشعر معها بالأمان، وأنه سيترك روحه معها حتى يستيقظ.

يدخل جسدها كل يوم يمسح عنه الغبار، ينظف شوارعه، يرشّه بالماء والملح صباحًا، بالماء والسكر فى منتصف اليوم، وبالماء والعطر مساء، ثم يصحبه ويجولان العالم لعبًا وحبًا، يفضّل السهر مع جسدها فى الحجرة السابعة بقلبها، وأن يتناولا الطعام فى الحجرة الخامسة، ويلعبا الورق فى الغرفة المائة، يحب أن يراقب معها شروق الشمس من خلف ستائر الجانب الأيمن لجسدها، ثم ينتقلان للجانب الأيسر ليراقبا الغروب، يحب أن يحتفل معها بالمناسبات الخاصة فى الحجرة التى تطل على مطر دائم، وأن يبدأا ممارسة الحب وينتهيا منه فى المكان من جسدها المطل على البحر.

عندما يغضب منها، يحطم كل مصابيح الضوء فى جسدها، يلقى بأثاث حجراته من النوافذ، يقطع الأشجار المزروعة فيه، يصطاد الطيور التى تحلّق فى سمائه، يلقى بالحجارة فى شوارعه، يرسم على جدرانه وجوهًا حزينة، ويكتب كلمات غاضبة، فتصير شوارع جسدها وحيدة مخيفة.

قال لها إنه دومًا سيجد سببًا ليسامحها، لو لم يجد سببًا، سيوهم نفسه بوجود سبب ما، لو لم يستطع أن يوهم نفسه، سيسامحها بلا سبب ولا وهم.

في الأيام والليالى التى تحبها هى بشكل خاص، يعيد طلاء كل الشوارع وأعمدة الإنارة فى جسدها، يُعلق أوراقًا ملونة، يُطلق فى فضائها طيورًا حلوة وألعابًا نارية، يزرع ورودًا وأشجارًا تحبها، يأتى بفرقة موسيقية، وفرقة ألعاب وسيرك، يقف فى أشهر شارع بجسدها يوزّع النقود والطعام والملابس على المساكين وعابرى السبيل، ليكون الجميع سعداء فى يومها الذى تحبه.

قال لها إنه بخير، سيكون دائمًا بخير ما دامت موجودة فى هذا العالم.

يروق لها أن تلاعبه، بأن تطفئ أضواء البيت، وتضع شمعتين على ركبتيها العاريتين، وتفرقع بإصبعيها فى الهواء، "طك" هكذا، مثلما يفعل "ساحر الإنس والجن"، فتشتعل الشمعتان بلا ثقاب، وتأخذه من يده للفراش تمدده على ظهره، وتتمدد فوقه بطول جسده دون أن تلمسه، فقط تستند بذراعيها حول وجهه، لينسدل شعرها حوله ستارة معطرة تشف العالم وتغيّبه فى نفس الوقت، تترك ثدييها الكريمين يساقطان عليه، وتضبطهما بحيث لا تلمسه إلا بحلمتيها الصاحيتين، تحرك الكريمين ثدييها وقتًا عميقًا، فتظل حلمتاها تقبّلان صدره لما لا نهاية، وتنظر هى فى عينيه لما لا نهاية، تبتسم وتضحك، تضحك وتبتسم، تضحك وتبتسم وتلعب، تضحك وتبتسم وتلعب وتحبه، من أين يأتى كل هذا الورد؟

وعندما يتعب ذراعاها ويرتعشان حول وجهه، تسحب دفقة هواء من صدره لصدرها، وتُخرجها مع ضحكة وكلمة: تعبت"، تضحك ضحكتها هذه، هذه ضحكتها، هذه ضحكتها تضحك، كيف يشعر ببرودة عرقها وسخونة جسدها معًا فى نفس اللمسة؟ كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟!

عندما فاجأها العالم بلعبة لم تكن مستعدة لها، وبدأت تفقد شعرها الكريم، لم تعرف دورها فى هذه اللعبة وما يجب أن تفعله، لكن عندما تمادى العالم معها، وفقدت مساحات كبيرة من شعرها، وحصلت بدلاً منها على مساحات من الألم، رفضت أن يمر حبيبها على آبار المياه ليستعيد شعرها من الحبال التى ربطوا بها دلاء الماء، أو أن يفكه من حبال السيرك والسفن ويعيده إليها، استطاعت أن تخدعه بابتكار ألعاب جديدة، حتى لا يلاحظ أنها تفقد جزءًا منها فى اللعبة كل يوم، هل خدعها أيضًا عندما جعلها تعتقد أنه لا يعرف أنها تتسرب من بين يديه، حتى لا يؤلمها الحزن فى عينيه؟ هل استطاع كلٌ منهما فعلاً أن يخدع الآخر حتى لا يؤلمه؟

"أنا مستعدة.. الآن يمكننى أن أودع لى عينيك"، ماتت وتركت له أكثر من حياة حلوة جمعتهما، ومجموعة لا نهائية من الألعاب المشتركة بينهما.

بعدها اختفى ظله، صار يمشى وحيدًا، فقدَ صورته فى المرآة، ينظر فلا يرى شيئًا، بينما تحاول العودة لأجله، وهى تجمع رائحتها من آبار المياه وألعاب السيرك، تلملم روحها من

البيوت والبلاد وأسفار السفن، وتترك لهم شعرها الكريم، حتى استطاعت أن تكون ظله، ولكى يشعر بأنها تمشى معه جعلت ظله هذا على هيئة جسدها هى، لكن لا يمكن لغيره أن يراه، ثم صارت انعكاسًا له فى المرآة، فيراها بدلاً من نفسه، وصارت صدى لصوته، فعندما يخرج ليلاً يبحث عنها فى كل الشوارع والمياه والأشجار، وينتهى العالم دون أن يعثر عليها، ويناديها بأعلى صوته، يسمع صداه بصوتها وهى تنادى اسمه من كل مكان حوله، هل كانت إحدى ألعابها معه؟ ومع العالم؟

بدأ ظلها يصير أكثر كثافة وحضورًا، فيجلس معه ويلاعبه، يبادله الضحك، ويتحرك حوله أثناء وجودهما فى البيت ليشعر بوجود كامل لها، لكنها لم تكن تستطيع أن تلمسه بعد، وفى تلك الليلة التى أحسّ فيها بيد الظل تلمس كتفه، التفت إليه مرتجفًا ومتشوقًا، فلم يجده، بعدها غاب الظل عنه إحدى عشرة ليلة، ثم عاد وفيه رائحتها معشوقته، ثم غاب ليلة واحدة، وعاد وقبّله فى خده، هل أحس بالقبلة وسمع صوتها؟ كيف يمكنها أن تلعب كل هذا اللّعب؟

فكر أن عليه دخول اللعبة، فمنح ظلها نصف جسده، منحها نصف روحه ودمه، نصف قلبه وعقله، وعاشا معًا نصف مجنونين نصف عاقلين، نصف جسد، نصف قلب، نصف روح، نصف دم، ونصف شحوب، فصارا مثل شمعة ضعيفة، تبدو على وشك الانطفاء، لكنها لا تنطفئ أبدًا، شمعة ضعيفة قادرة دومًا على أن تنير لشخص واحد وتدفئه.

هى الشمعة والشخص الواحد، هو الشمعة والشخص الواحد.

كان يمكنهما أن يتماديا فى اللعب بهذه الطريقة، ويحصل كل منهما على روح كاملة، وجسد كامل، لن يحتاج الأمر أكثر من أن تقول له: "أنا مستعدة.. يمكنك الآن أن تكتمل لى، يمكننى الآن أن أكتمل لك"، لكنها تضحك ضحكتها اللعوب مثل سيرك كامل، وتختار أن تكمل اللعب بطريقتها المحبوبة، وتقول له بدلالها الذى اخترعته لنفسها: "أنا مستعدة.. يمكنك الآن أن تمشط لى شعرى".

مهرجان فى شارع مسحور

غيمة صغيرة، تصل للقمر بعد دقيقتين أو أقل، قبل ساعة أعطتها أمها ورقة مطويّة كتبت فيها عنوان الشارع الذى حملت بها منه، وأخبرتها ألا تحاول قراءة العنوان مهما حدث أو لم يحدث، وإلا لن تصل أبدًا ولن تستطيع العودة، فقط عليها أن تذهب للقمر لأنه يحب هذا الشارع، وسيجلس الليلة بمواجهته ليتفرج عليه.

وصلت الغيمة للقمر وأعطته الورقة، فنظر فيها لوقت أطول كثيرًا مما يمكن أن يستغرقه لقراءة أىّ عنوان، ثم أعادها إليها وقال إنه غير متأكد، ربما كل ما فى الأمر أن أمها تلعب معها لعبة ما. نظرت الغيمة للشارع، وشعرت بحنين لم تكن لتشعره إلا لو كانت لها علاقة قديمة به، أدخلت الورقة جيبها، وتقافزت على النجمات نزولاً ولعبًا حتى وصلت لسطح مبنى عال، وقبل أن تتعرف على المكان مرت أمام عينيها سكين طائشة، كان أحدهم يحاول أن يطعن بها شيئًا مَرّ من خلفها، أو

أنه كان يلعب لعبة ما، فى أىّ من الحالتين قفزت الغيمة بسرعة لسطح منخفض، فتعثرت بقطعة موسيقية صاخبة، واصطدمت رأسها بكلمات أغنية تحكى قصة شاب مغامر سرق مدينة الجن، خدشت إحدى الكلمات جبهة الغيمة، التى لمحت على الأرض قطعة ذهبية يبدو أنها سقطت من الشاب سارق الجن، لكنها لم تهتم بها، وبحثت عن السلم الخلفى للمبنى، وبدأت تنزله سريعًا حتى سمعت صوتًا أموميًا حنونا وشرسًا يأتى من الأسفل، فتوقفت ونظرت لترى قطة تضع أطفالها الثلاثة خلفها، وتقف على قدميها الخلفيتين لتواجه كلبًا ضخمًا، وتُطلق عليه من عينيها ما يشبه "أقتل الكلاب الضخمة"، فهم الكلب ما تطلقه القطة وصدّقه وابتعد، بينما ظلت القطة على قدميها لبعض الوقت، تفكر أن لو كان الكلب لطيفًا معها، لرأى فى عينيها ما يشبه "ألعب مع الكلاب الضخمة".

كادت الغيمة تسقط من فوق السلم عندما رأت انعكاسًا لها فى بركة ماء صغيرة على الأرض، وعندما دققت النظر فيها لتتأكد من أنها صورتها وليست غيمة أخرى، انفلتت وسقطت فيها، وهناك عرفت أنها بركة من ماء وعطور، ولو نظرت فى العمق لرأت أسماكًا ملونة وبقايا سفن وبلاد غارقة، لكنها كانت مشغولة بالخروج من البركة سريعًا تقطر ماء وعطورًا، وعندما نظرت للقمر رأته يضحك، ويشير لها بأن تتحوّل لصياد يمسك بندقية، حتى يمكنها أن تحمى نفسها من أىّ خطر، وقد كانت تستطيع أن تفعل، فكما يمكنها أن تتحوّل لأىّ شىء

في السماء، يمكنها ذلك على الأرض، وهى إحدى الألعاب التى علمتها لها أمها.

بدلا من صياد يمسك بندقية، أحبت الغيمة أن تتحول لفتاة لصة، سرقت منذ لحظة حافظة لصٍ معروف، لمجرد أن تستمتع بمطاردته لها، وهو يمسك سكّينه الشهيرة ويقسم أنه سيشقها نصفين، فتغيظه بضحكاتها المجنحة وتهتف: "يا مغفل"، وتتنقل بخفة بين المبانى وفتحات الشارع، بينما القمر يتسلّى بالفرجة وهو على الحياد منهما، فيضِيء للص المعروف كما يضىء للصة الشابة، التى دخلت بيتًا مهجورًا يسكنه ظلام، وتبعها اللص ليجد نفسه بمواجهة ذئب ضخم، يُطلق من عينيه ما يشبه "أقتل اللصوص المعروفين"، هاجمه اللص بسكّينه، فلطمه الذئب بقوة ألقت به للشارع، تحسس اللص وجهه المجروح، وتحوّل الذئب الذى كان شابة لصّة التى كانت غيمة إلى بقعة ضوء خافتة، تضىء لنفسها الطريق على السلم الخشبى داخل البيت، وتصعده باتجاه موسيقا هى مزيج من رفيف أجنحة وتدفق شلالات مياه وصخب ألعاب جديدة، اقتربت بقعة الضوء من باب خشبى صغير موارب، تخرج منه الموسيقا مصحوبة بضوء مبهر كاد يغرقها، فتحولت فورًا لأغنية عن اللعب، سبحت فى الضوء ودخلت، توقفت خلف الباب ونظرت لقاعة واسعة بالأسفل، حيث عدد لا نهائى من عفريتات شابات، يرقصن فى حفلة ربما تكون عيد ميلاد إحداهن، كانت أضواء ملونة فى كل مكان، وموسيقا تتصاعد

من تحت الأقدام فى موجات مرئية تصطدم بالسقف وتتردد فى جميع الاتجاهات، وتعتمد الرقصات على أن تتفادى العفريتات تلك الموجات الموسيقية، فيتحركن برشاقة ومرح، بينما تنبض ضحكاتهن الصافية فى قلب الموسيقا، تأملتهن الأغنية بإعجاب، ولاحظت كم هن جميلات ورقصاتهن رائعة ومبتكرة، حتى انتبهت وكلهن ينظرن إليها ويدعونها للرقص، فارتبكت لحظة، ثم ابتسمت وأشارت بأن لديها شيئًا صغيرًا تفعله وستعود قبل نهاية الحفلة، ابتسم بعضهن، وأشارت أخريات بأنهن فى انتظارها، ثم ارتفع صوت الموسيقا وانطفأ الضوء، فظهرت القاعة مثل ماء تسبح فيه العفريتات كأضواء ملونة رشيقة، تتفادى موجات الموسيقا السريعة التى تبدو مثل آلاف من العشاق، يحاولون لمس واحدة من البنات، إلا أن البنات فى هذه القاعة المسحورة يتفادين كل العشاق بخفة وتدلل لا يمكن تفسيرهما إلا بأنهن عاشقات.

انسحبت الأغنية وهى تتحرك على إيقاع موسيقا العفريتات، وتفكر أنها لم تر فى حياتها منظرًا بهذا الجمال، رغم كل ما رأته وقت أن كانت غيمة، ثم أكملت طريقها لأعلى حتى وصلت للسطح الذى امتلأ بسيرك كبير، رأت فيه بشرًا، حيوانات، عفاريت، أشجارًا، وكائنات أخرى كثيرة، الكل يلعب ويستمتع بلعبته وألعاب الآخرين، تحولت الأغنية لمهرج تعيش فى إحدى عينيه دمعة وفى الأخرى ابتسامة، يرتدى ملابس بها ألوان العالم، ويمارس جنونه ومشاعره بحرية، فى نفس الوقت

يعبر عن حياة كل من فى السيرك، ويكشف لهم مشاعرهم الحقيقية التى يخبئونها، وهو ما لفت انتباههم وجعلهم يتأملونه، لكنه كان صادقًا ومؤلمًا لدرجة لم يتحملوا معها النظر إليه طويلاً، فشغلوا أنفسهم عنه بألعابهم، تركهم المهرج واقترب من حافة السطح، ينظر للنوافذ على الجانب الآخر من الشارع، فرآها نصف محطمة، وزجاجها ملون برسومات تحكى حكايات أسطورية مغوية، ويبدو زجاج كل نافذة كأنه يحكى جزءًا من حكاية، لم يستطع المهرج أن يقرأ الحكايات بوضوح من مكانه، فتحول لطائر يبدو أنه عصفورة، رفرفت باتجاه الحكايات التى سحرتها وجعلتها تواصل الطيران دون أن تتوقف فى الوقت المناسب، فاصطدمت بزجاج إحدى النوافذ وسقطت على الأرض، وكادت تدهسها سيارة ضخمة مليئة بأحلام وأمنيات جديدة، إلا أن يدًا التقطتها بسرعة، ووضعتها بجوار الحائط برفق، نظرت العصفورة إلى صاحب اليد، فوجدته شابًا أعجبها قلبه، وفكرت فيما يمكن أن تفعله بنفسها حتى تلفت نظره، مرت برأسها الكثير من الأفكار، فابتسمت ولم تختر أيًا منهن، ونظرت بعيدًا تدندن فى قلبها بأغنية تحبها عن شابة تعيش على قمم الأشجار، وتُلقى بالثمار للأطفال والعابرين دون أن يروها، أعجبتها الفكرة فحولت نفسها لأرغفة خبز طازج، وندف دفء، وبدأت تضع نفسها للمشردين فى زوايا الشارع، فينظر أحدهم فى حجره ليجد خبزًا يصّاعد منه خيط دخان شفيف، بينما تساقط على رأسه ندف دفء ذهبية.

بعد أن صارت الغيمة كلها خبزًا ودفئًا للمشردين، استعادت نفسها من نظرة الطمأنينة والرضا فى عيونهم، وملأها إحساس بالهدوء والراحة، وفكرت أن تفتح ورقتها، وتنظر فى العنوان المكتوب بها وليحدث ما يحدث، إلا أنها عندما رأت رجلاً قديمًا يخرج من بيت لم يكن موجودًا قبل لحظة، حوّلت نفسها لشابة حائرة، وفتحت له الورقة، وسألته إن كان هذا الشارع هو نفسه المكتوب فيها، نظر الرجل فى الورقة لوقت أطول كثيرًا مما يمكن أن يستغرقه لقراءة أىّ عنوان، ثم أعادها إليها وقال إنه غير متأكد، ربما كل ما فى الأمر أن أمها تلعب معها لعبة ما، وأشار بأن تلتفت خلفها، فوجدت شابًا لم تشعر باقترابه منها، يكاد يلتصق بها، أخبرها الرجل القديم أن الشاب هو أقدم مصاص دماء فى الشارع، ومن الممكن أن يخبرها بما تريد، ثم اختفى مع البيت الذى خرج منه فى نفس اللحظة.

طلب مصاص الدماء من الشابة الحائرة شيئًا بسيطًا فى مقابل أن يخبرها عما تريد، فقط تسمح له أن يشرب بلسانه البلل الخفيف عند منبت شعرها فى منطقة خلف الأذنين والرقبة، ليس أكثر من ذلك، أقسم لها أنه يعيش على ذلك ولا يرغب فى دمها، فجمعت نهايات شعرها فى يدها، وكشفت له رقبتها باطمئنان لا تعرف سببه، حتى أنه فوجىء ونظر عميقًا فى عينيها، قبل أن يقترب منها بهدوء، ويشرب ماءها الخفيف من منابت شعرها خلف أذنيها، وعندما غاب بعض الوقت مع رقبتها، أحست بمتعة غريبة، وتمنت لو يظل هناك أطول وقت

ممكن، لكنه لم يفعل، وبعد أن انتهى من شربها، سحب شعرها من يدها برفق، وأراحه حول أذنيها ورقبتها، فنظرت في عينيه ولمحت غيمة دموع شفيفة، ومن بين ضلوعه الضعيفة رأت قلبه مثل ندفة سحابة زرقاء حزينة، ينبض بلهفة كمن يبحث عن الحب منذ مئات السنين.

التقط مصاص الدماء الورقة التي سقطت من يد الشابة وقتما كان يشربها، ونظر فيها لوقت أطول كثيرًا مما يمكن أن يستغرقه لقراءة أيّ عنوان، ثم أعادها إليها وقال إنه غير متأكد، ربما كل ما في الأمر أن أمها تلعب معها لعبة ما، وإذا أرادت يمكنه أن يعيد إليها ماءها الذي شربه، على الأقل سيحاول، أخذت ورقتها وأخبرته أنها تتمنى أن لو يشربها مرة أخرى، فرأت قلبه يزداد لهفة وارتباكًا، همست للقلب المرتبك بكلمة ولمسته فهدأ قليلاً، إلا أن قلبها ارتبك بشكل مفاجئ عندما خرج من إحدى النوافذ القريبة مهرجان كبير مليء بالبشر، الموسيقى، الرقص، الأغنيات، الألوان، الأضواء، والألعاب، كان الكثير الكائنات العجيبة تخرج من المباني وشقوق الأرض، تتدفع من فتحات الشارع وتهبط من سمائه الخاصة لتنضم للمهرجان، منها من يعزف على آلة موسيقية أو يشارك برقصة أو أغنية أو لعبة، وينسجمون فورًا في هذا اللحن الكوني الذي يعزفونه معًا بتلقائية، وعندما أمسك مصاص الدماء يد الشابة وانضم بها للمهرجان، انفلتت منها الورقة.

أثناء رقصها رأت الشابة اللص المعروف، القطة وأطفالها، الكلب الضخم، العفريتات الجميلات التى عرفتهن وقتما كانت أغنية، السيرك الذى كان على سطح المبنى، الحكايات المرسومة فى زجاج النوافذ، الشاب الذى أنقذها وقتما كانت عصفورة، الرجل القديم وبيته، الشاب المغامر الذى سرق مدينة الجن، الجن سكان تلك المدينة، الأغنية التى تحكى قصة السرقة، المشردين الذين قدمت لهم نفسها خبزًا ودفئًا، والكثير من الكائنات التى رأتها للمرة الأولى وأحبتها فورًا، الكل يتشارك المهرجان بجموح وحرية، وعندما سألت الشابة مصاص الدماء عن الضجيج العذب الذى تشعره تحت الأرض، أخبرها بأنه نهر يصاحب المهرجان أينما ذهب، فيمشى ويرقص ويغنى ويلعب معه، اندمجت الشابة كلها فى بذخ المهرجان العجيب، ومن وقت لآخر كانت تلمح ورقتها على مسافة قريبة فى الهواء وهى تلعب مع أوراق أخرى كثيرة.

لم تعرف الشابة كم من السنوات مرّ عليها داخل المهرجان، إلا أنها فى نهاية ليل ما، تعبت مثل الجميع، وجلست معهم على الأرض، حيث يمتلئ بهم الشارع حتى يحضن السماء بعيدًا، أو قريبًا، ليس معروفًا أو مهمًا، ويبدو القمر كأنه يتفرج عليهم وفى نفس الوقت يجلس بينهم، وفى فضاء الشارع تتماوج حكايات، موسيقا، ألوان، وألعاب، تنتظر أن يستأنف المهرجان جموحه.

بحثت الورقة عن الغيمة/الشابة، ولمحتها بجوار مصاص الدماء، فاقتربت منها ولمست قدمها الحافية، لكنها لم تهتم بها،

فتسلقت الورقة ساقها وخربشتها برفق، عندها نظرت الشابة بعيدًا، لترى فى مستطيل مظلم بين مبانى الشارع ما يبدو أنه ملاك يمشى بجوار طفلة، ويُلقى بظله المنير أمامها على الأرض ليساعدها فى البحث عن شىء ما، وبين خطوة وأخرى يلاعبها لعبة قصيرة حتى لا تبكى، ظلت الشابة/الغيمة تراقبهما حتى انتبهت والورقة تقفز لصدرها وتطرق قلبها بإصرار، فتنبهت وأمسكت بها، نظرت فيها لوقت أقصر كثيرًا مما يمكن أن تستغرقه لقراءة كلمة واحدة، ثم قالت إنها غير متأكدة، ربما كل ما فى الأمر أن أمها تلعب معها لعبة ما...



ألعاب وموسيقا

ريشة فى الهواء تلاعب طائرًا تائهًا، لا تعرف اسمه ولا يعرف اسمها، كلٌ منهما يحكى للآخر ما رآه فى العالم، يسمعهما رجل يمشى دون توقف منذ مائة يوم، ليس له اسم ولا بيت، فيتوقف ليلعب معهما ويحكى، ثم يفتح صدره ويسكب قلبه، فتخرج منه فرقة موسيقية متجولة، تعزف لحنًا يحب العالم، وتدور به حول الرجل والريشة والطائر، فينزل مطر خفيف ليشاركهم حياتهم، ويأتى نهر على صوت المطر، أطفال على صوت اللعب، بحر على صوت الموسيقا، وبشر على صوت الحكايات، تتسع الدائرة لما لا نهاية، والجميع بلا اسم يلعبون ألعابًا بلا اسم، ويخترعون حكايات تنبض فيها الحياة فورًا، وتبدأ بدورها فى اللعب، واختراع حكايات، بشرًا، موسيقا، وألعابًا كلها بلا اسم.

يلعب مع العالم

السماء بدأت اللعبة عندما قذفت البحر ببعض النجمات، فقذفها بحيتان صغيرة، التقطتها وثبتتها فى زوايا كثيرة بها، وبدت كعلامات لاتجاهات جديدة، تبعها البحارة والصيادون، فأخذتهم لأماكن لم يكونوا يقصدونها، وعندما رأى البحر حيرتهم، أطلق صفيره لحيتانه فقفزت إليه من السماء، التى عندما طلبت أن يرد إليها نجماتها، أخبرها أنه أهدى بعضهن للبحارة والصيادين الذين تسببت فى حيرتهم، واحتفظ بالبعض الآخر لاستكمال اللعب.

ولأن الليل يعتبر النجمات تخصّه وحده، عاتب السماء على تصرفها، فضحكت تؤكد له أن النجمات تخصها وحدها، حتى تدخلت النجمات تهتف بأنها لا تخص أحدًا، فرشّهم البحر جميعًا بمائه، ولأن السماء تحب طعمه، مدت وجهها ليغمرها، ولعقت ملحه من شفتيها، بينما أدار الليل ظهره، فظهر النهار بدلاً منه، صاخبًا فاتحًا ذراعيه عن آخرهما، يُطلق من بينهما

ألوانًا يعلن بها عن نفسه، بينما الشمس البرتقالية تجرى لاهثة وشعرها يتبعثر حولها، فتحاول أن تجمعه وتمشطه سريعًا بأصابعها، حتى وصلت لمكان مريح بعض الشىء ونظرت للبحر لتعرف أن فى الأمر لعبة ما، فى نفس الوقت كانت السماء قد بدّلت ملابسها الليلية بأخرى تناسب النهار، الذى انتهى من توزيع أشياءه حوله بطريقة فوضوية يحبها، وحتى لا يتوقف اللعب أطلق البحر مئات النوارس الجديدة، وصعّد من قلبه جزيرة، لمحت فيها السماء بعض النجمات التى قذفتها إليه، فطلبت من بعض السحابات السريعة أن تنزل وتحضرها، إلا أنهن رفضن، فاختصرت السماء نفسها فى شكل سحابة رشيقة ونزلت الجزيرة، وعندما انحنت لتلتقط أول نجمة، فوجئت بصيادين يهجمون عليها، فجرت منهم تتفادى بعض الأغصان، وتصطدم ببعضها الآخر، وتغيّر اتجاهها بسرعة كلما فاجئوها من بين الأشجار بشباكهم، صياحهم، وغريزتهم الصيّادة، ولأنهم كانوا يريدون الحصول عليها دون أن يصيبوها ولو بخدش، فلم يحاولوا اصطيادها بأدوات حادة أو بدفعها لأحد فخاخهم، وبالفعل أو شكوا أن يمسكوا بها عندما حاصروها فى مكان ضيّق، إلا أن السحابات اقتربت بسرعة من قمم الأشجار، وصبّت مطرًا غزيرًا أربك الصيادين لفرط سعادتهم به، ومنح السماء الفرصة لتمر من بينهم، لكنهم ظلوا يطاردونها بإصرار حتى كادوا ثانية أن يمسكوا بها عندما اصطدمت بغصن قوى وبدأت تفقد وعيها، لولا أن ناداها البحر وأظهر لها نفسه على

بعد خطوات خلف الأشجار، فانتعشت وألقت بنفسها إليه، ليرتفع
بها ويعيدها مكانها، وقبل أن يعود مكانه استعادت طبيعتها، إلا
أن قلبها ظل ينبض بدقات قوية مسموعة، بينما البحر يبتسم لها
بعينيه، وينتظر حتى تلتقط بعض أنفاسها، ثم تضحك ضحكتها
التى تضحكها بعد كل رعب تعيشه فى لعبة ما.

بعد أن التقطت بعض أنفاسها، نظرت السماء للبحر،
وعيناه تحلوتان تشجعانها على أن تطلق ضحكتها التى تبدؤها
فى مثل هذه الحالات ممزوجة ببقايا خوف ودهشة، وارتباك
نشوة النجاة، ثم تكملها صافية متلألئة ولعوبًا، ولأن السماء لا
تحب أن تمنع ضحكتها المحبوبة، ولا يمكنها ألا تضحك،
أطلقتها بعد ثوان، فضحك البحر، ضحكت الشمس، ضحك
النهر، وكل منهم يرش الآخرين بما لديه، فلم ينتبهوا للريح
القادمة بسرعتها، لترمى على وجوههم حفنات من الرمل الناعم،
قبل أن تهبط للسحابات التى ما زالت قريبة من قمم الأشجار،
وتضربهن ضربات سريعة لتسقطهن فى الجزيرة طريدات
تصيئين، ثم ترتفع وتتوقف حيث يمكنها أن ترى الجميع،
فتدور حول نفسها تضحك منهم، وكان البحر قد أمسك بطرف
ثوب السماء يمسح به الرمل من عينيه، فى حين أدخلت رأسها
فى حضنه لتغسل عينيها بمائه، وكانت الشمس تغمس عينيها فى
النهر، الذى يلتقط ذرات الغبار من عينيه بخصلات شعرها.

وعندما رأت الريح أنهم أوشكوا أن يتخلصوا من غبارها،
أرادت أن تفعلها بهم ثانية، لكنها لم تستطع أن تتحرك عندما

فكرت فى ذلك، وأدركت أن ما يجذبها الآن من ذيلها بهذه القوة لا بد أنه جبل، التفتت خلفها ورأته بعيدًا، وفهمت أنه ينوى أن يجعلها ترتطم به رغمًا عنها ليشتتها، فتركت نفسها له لتخدعه، فى الوقت الذى انتبه البحر للسحابات يصرخن ويجرين هاربات من صيادى الجزيرة، فمد إليهن موجة كبيرة قفزن إليها، ليرتفع بهن، ويبتسم وهو يضرب كل سحابة ضربة واحدة على مؤخرتها الصغيرة فيدفعها للسماء، حيث يمكنها أن تكمل الطريق وحدها، وعندما استقرت كلّ منهن فى مكان آمن، تبادلت النظرات مع زميلاتها، وبدأت ضحكاتهن تظهر وبها خوف ودهشة، وارتباك بنشوة النجاة، قبل أن تنطلق صافية لعوبًا، وانتبهن أثناء ضحكاتهن إلى أن صيادى الجزيرة لم يكونوا جادين فى الإمساك بهن، فلو أنهم كذلك لأمسكوا بالكثيرات منهن، وتأكدت السحابات من ذلك عندما نظرن للصيادين، ورأينهم يضحكون ويلوّحون لهن، فبدأت كل سحابة تشاكس زميلتها، بأن تضرب كتفها أو ترشّها بدفقة ماء، وتذكّرها كيف كانت تصرخ مرعوبة فى الجزيرة، وتتكفئ على وجهها أمام الصيادين، فيتركونها مبللة برعبها ويطاردون غيرها، وعندما بدأ البحر يحرك الجزيرة بعيدًا، اقتربت السحابات ليودعن الصيادين، فيلوّحن لهم، ويُلقين إليهم أشياءً صغيرة للذكرى، حتى اختفت الجزيرة فى لعبة أخرى.

كان على السحابات الآن أن يبدلن ملابسهن التى اتسخت أو تمزقت، إلا أن أيًا منهن لم تكن لتغادر اللعب لأى سبب،

خاصة بعد أن ظهر نهر لم يعرفن إن كان قد جاء ليصب فى البحر، أم حملته المصادفة إلى هنا، أم حملها هو وجاء ليلعب، اتجه النهر للبحر مباشرة، وبدا من نظراتهما أن كلاً منهما يعرف الآخر، بسرعة بدأ النهر يحوّل أسرابًا من الأسماك للبحر، فيصحبها ويعرّفها سريعًا إلى مجموعات من سكانه، ويفكر كيف يورطه فى اللعب، إلا أنه لم يفكر طويلاً، فقد فاجأه النهر وأخرج يديه ملآى بالطمى ولطخ وجهه بسرعة، ثم حاول الهرب وهو يهبط لأسفل على هيئة شلال، إلا أن البحر أمسك به من خصره وقَلَبَه على ظهره، فارتبك وتطايرت كرات الطمى منه فى كل اتجاه، وارتطم بعضها بملابس النهار ووجهه، فأدار ظهره ليظهر الليل بدلاً منه يلهث كأنما جاء من لعبة أخرى، كان هذا واضحًا فى الضحكة نصف المجنونة التى أطلقها بمجرد ظهوره، ونظراته الملهوفة وهو يتلفت حوله يبحث عن طريقة لدخول اللعبة، كما ظهر القمر معه متحمسًا للعب، وبوجهه بعض الخدوش التى حصل عليها فى اللعبة التى جاء منها، وكانت النجمات يتحركن فى كل اتجاه تملؤهن رغبة اللعب، فى حين ظلت السماء بملابسها النهارية ولم تبدلها بأخرى تناسب الليل.

كان النهر قد وجّه كل كرات الطمى تجاه البحر الذى بادله بكرات الملح لعدة ثوان، قبل أن يشعر بالملل، فيقفز عاليًا ويهبط فوقه ليتطاير الرذاذ المالح والرذاذ العذب فى كل اتجاه، ظل البحر والنهر متلاصقين، وتقلّبا لمسافة طويلة حتى امتزج

كلّ منهما بالآخر، ثم بدأ النهر يتفرع لجداول صغيرة كثيرة حتى أفلت منه، فى الوقت الذى كانت الريح قد خلّصت نفسها من الجبل، وانطلقت بعيدًا عنه مصابة بخدوش قوية فى بعض أجنحتها.

لملم النهر نفسه بسرعة ووقف مثل الجميع على الحدود الوهمية للعبة، كانوا يلهثون، وعيونهم شغوفة باللعب، تبادلوا النظرات الماكرة المرحة، والتعليقات الشقية، وكلّ منهم يفكر كيف سيبدأ، ولمن يوجه ضربته الأولى، وقبل أن يبدأ أحدهم سمعوا صوت الريح قادمة، فالتفتوا إليها، لكنها لم تهتم بكونهم جميعًا منتبهين لحركتها، واعتمدت على سرعتها فى أن تفاجئهم، لم يكن واضحًا لهم ما تحمله على أجنحتها لتقذفهم به، وقبل أن تضرب ضربتها، قفز القمر على ظهرها، فانتفضت بقوة تحاول أن تُسقطه، وكادت تفعل لولا أن تعلّق بأحد أجنحتها، وعاد لظهرها يتقافز عليه حتى يتفادى حركاتها المفاجئة القوية، وكانت تحرك رأسها فى كل اتجاه حتى لا يستطيع الوصول لخصلة شعرها الرمادية التى تطير فى الفراغ وتراوغه، لكنه قفز إليها وتعلّق بها قبل أن تهرب منه، ولف أطرافها بسرعة حول معصمه، ثم طوّح نفسه وركب الريح ثانية، وبدأ يتحكّم بها، إلا أنها ظلت تقاومه بعناد، حتى عقد خصلتها التى بها السرّ حول معصميه وجذبها بكل قوته، فتحكّم بها، وبينما الجميع يحيّونه بالصفير والتصفيق والصياح، ابتسم لهم، ودار بينهم بالريح مرتين ليريهم كيف أنه متحكم بها،

... حجرة، لكنهم فهموا ذلك، ففاجأهم بأن ألقى عليهم الألوان
التي كانت قد نثرتها على أجنحتها لتقذفهم بها، فضحكوا وقذفته
... بحفنة ملح كانت تبتل بها شفتيها، لكنه تفاداها وهو يقود
... في دوامات متوخة، وأعجب الجميع كون اللعب ما زال
... مستمرا، فنزع ثلث يده وضرب السماء على ظهرها، انطلق
... بعض السحابات، وكل منهن ترشه بمائها وتضحك،
... بعض النجمات تجاه النهر لتخدش جبهته، وأطلق النهر
بعض تماسيحه تجاه السماء، فأمسكتهم وصفعت الليل بواحد
منهم قبل أن تجعلهم علامات للصيادين، وظل القمر يدور
... حتى قذفه الجبل بقطعة حجر أسقطته من ظهرها،
... منه خصلتها الرمادية، وتستدير إليه تنفخ في وجهه بكل
قوتها، وترف بأجنحتها تجاهه لتنثر عليه الألوان، فيرتبك
... على ظهره ووجهه عدة مرات قبل أن يتماسك ويصاعد
... السماء، لكنها تطارده بعناد، وكلما أوشكت أن تمسك به
... إليها يغشي عينيها بوجهه المبهر ويضحك بجنون، بينما
... والنهار يتبادلان الظهور، فيشارك أحدهما لبعض الوقت
... اللعبة التي تدور هنا، ثم يدير ظهره ليأتي صاحبه من لعبة
... في جهة أخرى.

يلعبون جميعا إلى ما يبدو أنه لا نهاية، وضحكاتهم تطير
... ، وتمتزج بلعبهم: ملح، سماء، أجنحة، نجمات، ليل، طمي،
سحابات، ضوء، تماسيح، نهار، حيتان، شمس، مطر، ريح،
... ، جبل، قمر، ألوان، بحر، ولعب.

الفهرس

اللعب ٧

الساحر ١٧

عيناها أجمل مكان للحزن ٢٥

كمنجة تعزف غير مبالية بأىّ شيء ٣٣

لها ابتسامة حلوة محبوبة، ولهم أسماء مخيفة ومضحكة، ٤٣

فهل يعرف جدها أنها اليوم ستجعل منه بحارًا؟

قصة تسهر طوال الليل، وتجول العالم فى الصباح ٤٩

المرأة السيرك، الرجل الموسيقا ٥٧

عالم لعوب يشاغب المارة ٦٣

حبًا في اللعب والزغب والشوارع المسحورة ٧١

العش ٧٩

:أحب طريقتكَ فى النظر إلىّ. ٨٥

:أحبك طريقتكِ فى فعل الأشياء

الآن يمكنك أنَ تلعب معى ٩١

مهرجان فى شارع مسحور ١٠١

ألعاب وموسيقا ١١١

يلعب مع العالم ١١٣

الكاتب

- محمد الفخرانى، كاتب مصرى.
- الميلاد ١٩٧٥/٣/٢٣

صدر له:

- "بنت ليل"، قصص، عام ٢٠٠٢- الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- "فاصل للدهشة"، رواية، ط١، ط٢ عام ٢٠٠٧، ط٣ عام ٢٠٠٩- "الدار" للنشر.
- "قبل أن يعرف البحر اسمه"، قصص، عام ٢٠١٠ – دار ميريت للنشر.

mohamedalfakhrany@yahoo.com
mfakhrany@hotmail.com



«أيهما عالم، وأيهما لعبة؟»

«عيناها أجمل مكان يمكن النظر فيه للحزن، وأجمل مكان ينظر الحزن منه»

«يفتح صدره ويسكب قلبه، فتخرج منه فرقة موسيقية متجوّلة، تعزف لحنًا يحب العالم»

«كيف سيكون شيء يشترك في اختراعه رجل يحمل الموسيقا في قلبه، وامرأة تحمل السيرك في رأسها؟»

«ترى العالم كما يحلو لها، وتحوّله لمكان يمكن التجوال فيه طوال الوقت»

«يبتسم «كذب» تلك الابتسامة التي تخصّ «متعة»، ولا تظهر إلا عندما يراها أو يسمع اسمها، بينما يستعمل ابتسامة أخرى لبقية العالم»

«يوم واحد من اللعب الجموح أكثر متعة من اللعب العادي لعام كامل»

«يقف في أشهر شارع بجسدها يوزّع النقود والطعام والملابس على المساكين وعابري السبيل»

«ملاك يمشي بجوار طفلة، ويلقي بظله المنير أمامها على الأرض ليساعدها في البحث عن شيء ما»

«تذكّر ألا ينسى أن الحكاية كانت سحرًا، والسحر كان حكاية»



